

الحرام

يوسف ادريس

Looloo

www.dvd4arab.com



يوسف ادريس

الحمام

قصة خالصة مصرية

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف



Loolod
www.sheddom.com

في تلك البقعة من شمال الدلتا حيث يمتد التفشيش واسعا
 عريضا لا يكاد البصر يصل الى مدهاء ، كانت الدنيا تمر بلحظة
 السكون التام ، حين يكون الليل وما فيه من تقيق وصرير قد ولى
 وحين لا يكون النهار الكامل بأصواته وضجيجيه قد أقبل بعد ،
 سكون تام مطبق وكأننا ستقوم القيامة بعده ، سكون جليل مهيب
 تتردد حتى أدق الكائنات في خدشه . لم يكن يجرؤ على خدشه
 الا نصف كرة أبيض كان يفوس في ماء السرعة ثم يطفو ليعود
 يفوس محدثا خرخشة تنمالي وتدوى في رحابة السكون . ظل
 هذا يحدث عددا غير قليل من المرات ، ثم حدث أن غاص نصف
 الكرة مرة ، وغاب أكثر من المعتاد غير أنه لم يلبث أن طفا فجأة
 مخترقا الماء في ضجة عظيمة ، وهذه المرة وضح أن لنصف الكرة
 جبهة ما لبث أن وضح أن لها عينيْن ثم فما ، ثم لم يلبث الوجه أن
 تكامل واستدار الرأس آخذا طريقه الى الحافة ، وكلما تقدم
 ينحسر الماء عن رقبة ، ثم جسد أبيض من الخلف كثيف السواد
 من الأمام ، وقرب الحافة ظهرت الذراعان ، هزيتين بالقياس الى
 الجسد الضخم ولكن على بطن الذراع اليمنى وشم فتاة ممسكة
 سيفا وكتابة لو دققنا النظر فيها لوجدنا أنها لاسم ، والاسم هو
 عبد المطلب محمد البحراوى .

خرج عبد المطلب من الماء ، ومع أن المنطقة بأسرها كانت خالية

من الأحياء ، إلا أنه حين أصبح في العراء اثنتى على نفسه وضم يديه يخفى بهما عورته ، وبسرعة كان قد ارتدى ملابسه ، ملابس كثيرة ماهرة يضمها جميعا (بالطو) سميك مهبب أصفر اللون ذو تاريخ حافل اذ قد اشترك في الحرب العالمية الأخيرة مع الحلفاء على هيئة خيمة ، ثم انتهى كما ينتهى المحاربون القدماء الى تلك النهاية .

وأخيرا ، صلى عبد المطلب ركعتى الصبح الحاضر والسنة ، ولفع البندقية ذات الروحين على كتفه ومضى على جسر الترفة يغيب في تعليمه المصنوعتين من كاوتش الربات .

وبينما كان ماضيا في طريقه الى المزرعة الكبيرة فوجيء عبد المطلب بجسم أبيض غريب يرقد على جانب من الجسر . وفرح عبد المطلب فهو ككل الناس ما يكاد يرى على الأرض شيئا يختلف لونه عن لون الأرض الا ويعتقد أنه عثر على (ثقية) ، ويدق قلبه بالفرح .

غير أنه حين برش بعينه ، وعبد المطلب مع أنه خفيّر الا أن نظره على قدمه ، خاصة في الضوء ، ما كاد يرى الشيء حتى تسمر في مكانه مذعورا ومضى يصرخ : الله حى ، الله حى ، الله حى .

ذلك أن الشيء لم يكن الا جنينا حديث الولادة .
دق قلب عبد المطلب دقة عالية واحدة كالطلقة ، ثم انزوى يلهث في صدره ويرتجف ، فهو صحيح خفيّر ولكن ما يراه أمامه الآن شيء مختلف تماما عن اللصوص وقطاع الطرق ، ولهذا فقد كان أول ما فكر فيه أن يطلق لساقيه الريح ويجرى ، اذ للوهلة

الأولى اعتقد أن ما أمامه عفريت ابن جنية ما فى ذلك شك .
غير أن عبد المطلب لم يجر ، بل وجد نفسه بعد ثوان يقهقه قهقهة عالية ، أعلى من أية قهقهة أخرى أطلقها فى حياته اذ كان يضحك على نفسه ، فقد أدرك بطريقة ما أن ما أمامه ليس عفريتا أو شيئا من هذا القبيل ولكنه رضيع ابن حرام على وجه الدقة ، وما كاد يتبين هذا حتى قهقهه ، فقد تصور لأمر ما أيضا أن الجنين الذى يراه الآن هو ثمرة الليلة الماضية التى قضاهها مع زوجته . ولدته بعد أن غادرها ليستحم فى الترفة ويتطهر ، ثم ألقت به فى الطريق .

كان الخاطر لا معنى له ، اذ من غير المقول أن تحمل زوجته وتلد جنينا كاملا فى نفس الليلة ، ولكنه فكر فيه ، فالإنسان وهو مرعوب قد يقف عقله ويهرب بجسده ، أو قد يحدث العكس فيفسر بجسده فى مكانه ويهرب بعقله ، والعقل فى جرياته المفزوع لا يتقيد بأى معقول .

وعلى أية حال لم تطل قهقهة عبد المطلب اذ قطعها عليه احساسه المفاجيء بالمسئولية . ومع أن البقعة التى وجد فيها الرضيع ليست من اختصاصه اذ هى من اختصاص خفيّر الجرن ، الا أن بعض الناس أحيانا لا يكادون يجدون ثمة خطأ حتى يلاحظوه بأنفسهم ويحسن الواحد منهم أنه هو المسئول عنه ، ويبدأ يدافع عن نفسه ليتهرب من المسئولية . وهكذا ظل عبد المطلب واقفا أمام اللقيط يدير فى رأسه خطط الدفاع عن نفسه أمام الناس وأمام مأمور التفتيش ولا قدر الله أمام النيابة والمحاكم . وبينما عبد المطلب

يفعل هذا كان قوس الشمس الأعلى قد بدأ يصفر ويبيض ويحجب الأفق مستكشفاً ، وحين المأذن الى أن كل شيء على ما يرام ، برزت من وراءه الشمس بحجمها الأحمر الهائل ، ومع يرونها بدأت الدنيا تزهزه ، وتدعو الكائنات الى اليقظة والعمل وبدأ أبو قردان يصرخ ويرقرف ، وبدأ الناس يظهرون ، أفراداً متتارين أول الأمر قادمين من الجامع بعد الصلاة ، أو آخذين طريقهم الى التربة يغسلون وجوههم ويستحمون .

ومع زهزة الدنيا كان عقل عبد المطلب هو الآخر قد بدأت تعود اليه رباطة جأشه وبدأ يتفتح ، وكانت فكرة ما قد واثت بعد أن فشل في تخليص نفسه من المسئولية :

لم لا يلتقى باللقافة في التربة ولا من شاف ولا من درى . وتردد برهة بعد آه ، وواه ، ثم لم يلبث أن تقدم من اللقافة باحتراس زائد .

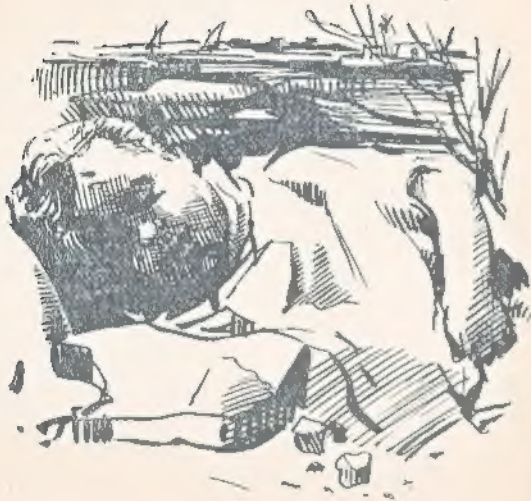
في تلك اللحظة فوجيء بصوت خشن كمرع السنط يقول :

— اصباح الخير يا عبده .

وحملق فيه عبد المطلب بعينه المشاوين ، فقد كان عبد المطلب أبيض ، أعمش ، ذا عيون صغيرة ضيقة لا ترى إلا في الليل ، حلق فيه وقال جبلته المشهورة عنه :

— اخص ع الناس . الله يكفهم .

كانت كلماته تخرج ملفوفة في صحايات صغيرة من بغفار الصبح . وكان القادم « عطية » الذي لا يدرى أحد متى جاء الى



التفتيش ولا من أين جاء ، ولم يكن له عمل معروف حتى أثناء
اقامته في التفتيش ، لا ولم يكن له محل إقامة ، فهو يتام حيثما
اتفق ، تراه على الدوام ، مسكاً ذيل قميصه من الخلف ، مظهره
سيئانه الخالية من الشعر . فاتحاً عيناً مقلقة الأخرى محدقا في محدته
بوجهه النحيل الرفيع الذي لا يطمئن اليه أحد .

ظلت ذرات البخار تخرج من فم عطية لترد عليها ذرات بخار
خارجة من فم عبد المطلب وأيديهما تشير مرة الى اللقافة ومرة
الى التربة والناس والعزبة والسوات العلاء الى أن انضم اليهم
الأسطى محمد . والأسطى محمد رجل الحادثات بلا منازع ، ما من
واقعة مهمة تحدث في التفتيش الا ويكون هو أول من يحضرها ،
ولا يدري أحد كيف تصل اليه أخبارها ، ولكنك حتما سوف تجد
هو عجوز تعدي السبعين ذو لحية ثابتة بيضاء وشعر أشيب وعين
يسرى لا يرتفع عنها حفته المعلق على الدوام . كان أسطى ماكينات
في التفتيش ، وحين كبر على العمل ، فصلوه ، ومع هذا فأحيانا
يمهدون اليه بهام مثل إقناد الواهور الذي يدير ماكينة الدراس
أو السهر بجوار طلمبة مياه . ولكنه على أية حال لا يزال يلقب
بالأسطى ، ولا يزال رجل الحادثات ، ورأيه فيها لا يزال هو الرأي
السديد . وهذه المرة ما أن عرف ما حدث ، ورنا الى الجنين بعينه
اليمنى حتى قال : ده مش ميت يا عبده .. ده مخنوق .

واستنكر عبد المطلب هذا ، ولكن الأسطى محمد ما لبث أن
أقنعه وهو يشير الى زرقعة الجسد واحمرار ما حول الأنف والاعم ،

طالباً منه أن يخلص نفسه من المسؤولية ويبلغ مأمور الزراعة اذ هو
الوحيد الذي يمكنه التصرف في أمثال هذه الأمور .

ويبدو أن عبد المطلب اقتنع فما لبث أن مصمص بشفتيه وقال :
— أيوه : أحسن طريقة نبليح للأمور .

قال هذا دون أن تصدر سحب بخار عن كلماته ، فالشمس
كانت قد بدأت تبيض والأجساد بدأت تسخن والتدى أخذ يزول .

~~~~~

ولا أحد يدري كيف تسرب الخبر الى العزبة ، فالثلاثة الواقفون أصبحوا ستة ، وما أسرع ما تجسهر حولهم الشفيلة السارحون الى الفيضان وقتوسهم على أكتافهم وغداؤهم في مناديلهم . وما لبث أن انضم اليهم عمال ماكنية الدراس والمزارعون وبعض الأطفال الذين أيقظهم آباؤهم مجبرين ليزيلوا وخم النوم يغسلوا وجوههم في التربة .

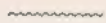
حتى النساء كن يتركن ما في أيديهن من عجين أو خبز أو طين ويسرعن ملهوقات الى الخليج ويلوثن الرجال وهن يدفعنهم ويفرقنهم ليرين ما هناك .

كل قادم كان يريد رؤية ابن الحرام هذا الذي مات لقوه ، فإذا ما زاحم وزاحم حتى وصل اليه وحدق فيه وملأ عينيه من البشرة البيضاء التي ازرقّت وكادت تسود والرأس الصغير وما حوته من مشيمة ودماء ، ما ان يرى كل ذلك حتى يدير ظهره ويقل راجعا وقد امتلات نفسه وملامحه بمزيج قابض من الرهبة والغشيان .

وجاء مأمور الزراعة في النهاية ، وسبقته الأيدي تدفع الواقفين وتفصح له الطريق . وكان فكرى أفندي المأمور لا يقل رغبة في رؤية هذا الحادث الجديد عليه وعلى العزبة عن أى من الواقفين ، ولكن كان حريصا في الوقت ذاته على ألا يفقد ذلك الشغف هيئته ، فما ان قارب المتزاحمين حتى مد يده وأحكم

أعوجاج طربوشه فوق رأسه ، ثم اكنث ملامحه السمراء طابع الجد وعقص رقبته في صلف كما يجب أن تكون عليه حين يراه الفلاحون ، ثم وقعت عيناه على المشهد . ولم يفلح هذه المرة في اخفاء ما اعتراه هو الآخر من رهبة وغشيان ، بل بدت واضحة تمام الوضوح على وجهه وتقلبات شفقيه ثم استدارته على الفور الى حيث يستطيع مغادرة المكان والابتعاد عنه .

وتبع المأمور في ذهابه الخولي وخفير الري وطنطاوى والأسطى محمد ونقر قليل من ( التلية ) والشفيلة . ساروا صامتين واجمين ، والمأمور يمسك تارة في منديله الأبيض المكور وتارة على قفص الطريق المبتل .



وكان من الممكن أن تنتهي مهمة فكرى أفندى المأمور عند هذا الحد ، فهو صحيح منقول عن كل كبيرة وصغيرة تحدث في التفيتش ، إلا أن العثور على لقيط ميت أو مقتول ومحاولة العثور على قاتله مسألة لا تدخل في اختصاصه بالمرة .

وذلك فعلا ما كان يدور في رأسه وهو يمشي الهوينى في الطريق الى مباني ادارة التفيتش وخلفه ذلك الجمع الصغير . غير أن حب استطلاع ما بدأ يراوده . ترى ابن من هذا ؟

التفيتش مكون من عزب كل عزبة لا تتعدى بيوتها الثلاثين بيتا . وهذا اللقيط وجد على خليج العزبة الكبيرة المقامة بجوار سراية أصحاب الأرض والادارة حيث الاصطبلات والحصن والمخازن وجراجات مكن الحوت . لابد إذن أن اللقيط ابن لواحدة من أبناء هذه العزبة الكبيرة أو بناتها ، والعزبة يكاد يعرف نساءها وبناتها بالواحدة ، ترى أيهن هي التي فعلت هذه الفعلة ؟ وترى كيف فعلتها ؟ . فكرى أفندى ملأما سجع في القصص والحوادث عن أولاد الحرام ، وأحيانا كانت تبلغه فضائح مثل هذه كالأخبار ليس الا عن أناس لا يعرفهم ولا يدري أشكالهم ولا ماذا يكونون . وفي أعرق أغواره ، وحتى لو كان قد قرأ الخبر في جريدة المقطم نفسها التي يؤمن بكل كلمة تقولها ، فانه كان يجد نفسه لا يكاد يصدق الخبر ، لا يكاد يصدق أن أحداثا كبيرة شماء حراما مثل

هتك العرض أو الحمل سفاحا ممكن أن تحدث فعلا . ولكنه رأى اليوم بعينه جسم جريمة كاملا ميتا يكاد يمد أصبعه ويضعه في عين كل من لا يصدق . كانت أحاسيس غريبة تلك التي تملكته وهو واقف يحدث في اللقيط . كأنه يرى الشيء الحرام الذي كان يأبى أن يصدق وجوده أو استحالة اقدام الناس على فعله ، يراه أمامه مجسدا واقدا على حافة الخليج . أحاسيس كثيرة عصفت به . الحرام إذن موجود لدى الناس ، أحيانا لا يستطيعون اخفائه ، ولكنه أحيانا يهزمهم وينتصر على رغبتهم في اخفائه ويظهر متبلورا في لقيط مسجى أو في بطن منفوخ . الحرام الذي كنت تسمع عنه يافكرى أفندى ولا تصدقه موجود ، وأمامك الفرصة مواتية لترى فاعلته كما رأيته .

تلك في الواقع هي الفكرة التي كانت تلح على خاطره أثناء رجوعه الى مبنى الادارة . ترى كيف تكون فاعلة ذلك الحرام ، أو على وجه الدقة ، كيف تكون الزانية ، ما من مرة ذكرت أمامه الكلمة الا واقشعر بدنه ، مع أنه كان له مثملا لمعظم الناس علاقات قبل أن يتزوج وحتى بعد أن تزوج ، ولكن وكأنما كان يستبعد أن يوجد نساء في العالم يخطئن مثملا تخطيء النساء معه . وكأنما من أخطأن معه لسن زانيات ، الزانيات هن من يخطئن مع غيره . ترى كيف تكون تلك المرأة ، وهل تكون جميلة ، وهل تشبه القوازي ، وهل هي مثل سائر النساء أم لا ريب تنفرد بالأعيب وحركات وتأودات هي التي جعلت ذنبا من الرجال يستفرد بها ويفعل معها الحرام ؟

وقف فكرى أفندى في منتصف المسافة بين الخليج وبين  
الادارة ، واستدار ، واستدار الجبع الذى خلفه لاستدارته ، وراح  
يستعرض العزبة الكبيرة أمامه بيوتها الداكنة والدخان الذى كان  
قد بدأ يتصاعد من الخروق الكثيرة في سقفها . على رأس العزبة  
يقع بيت مسيحة أفندى الباشكاتب ، وبجواره بيت أحمد سلطان  
الكتاب . الشاب الأشقر ذى الطربوش الغامق المعوج والبالطو  
الأسود النظيف ، الولد الشاب الحلو الذى ملأنا ضبط وهو يميز  
بتنا من البنات الفائرات الكيبرات اللاتي كن أحيانا يفتدن للعمل  
في التفتيش ، وغمرته دائما كانت تكهرب البنت منهن حتى تجعل  
أثناءها تقفز في الهواء . ولكنه لا يبحث عن قد يصلح الأب ،  
هو يبحث عن الأم . فهو مستعد أن يصدق الحرام في الرجال ، ولكنه  
لأمر ما يصعب عليه أن يصدق الحرام في النساء . الرجل دوره في  
الحرام طياري أما المرأة فدورها أساسى . هو يبحث عن الأم . وفي  
بعثه هذا لم يترك أحدا . امرأة الباشكاتب التى أم لنده حتى  
تناولها بعثه ، ولكنها كانت في زيارة لزوجته في الأسبوع الماضى  
ولم تكن أبدا حاملا . ومن بيت الى بيت تنتقل عيناه ، بيوت  
المزارعين الكبار الذين لدى الواحد منهم أكثر من ثلاثة أزواج من  
البهائم ، وبيوت التلية الذين لا يملك الواحد منهم الا قامة .  
ونساء العزبة جميعا يمررن أمام عينيه ، التى يعرفها تماما ، والتى  
لا يكاد يعرفها ، التى لها ضحكة وابسامة ، والتى لها قملة حمراء  
أو جلاية فاقعة الألوان ، البنت والعانسى والمغازية والمطلقة  
والمشكوك في أمرها ، التى استجابت لهزاره مرة والتى خجلت ولم

تستجب . ولم تتوقف أنظار فكرى أفندى عند بيت من البيوت ،  
ولا عند واحدة بعينها من النساء . فلا أحد في العزبة يستجيب .  
النساء كلهن يخرجن حتى من غير أن يرتدين ( الملس ) الأسود فوق  
ثيابهن الملونة . وكلهن معروفات . لم يلاحظ أحد على واحدة غير  
متزوجة حملا أو استفاخ بطن . لا يمكن أن تكون أحدهن هى أم  
ذلك اللقيط ، مستحيل .

وأفاق المأمور من تأمله الطويل للعزبة ومن فيها ، ودار بعينه  
على وجوه الرجال القليلين الملتصين حوله وكان يتوقف هنيهة عند  
كل وجه ويصاق . وعند كل توقف كان يصغر وجهه اذ يكاد صاحبه  
يشك في براءة نفسه ، ويكاد يصعقه أن تطول تحديقته المأمور فيه  
مرة ثم يشير اليه قائلا :  
— أنت .

ولكن ادارة المأمور لوجهه وعينه كانت امعانا في التفكير ليس  
الا ، وثبتا من وجهة الرأى الذى استقر عليه .  
وأشار فكرى أفندى فجأة بالخيزرانة التى كانت معه ، أشار  
الى الفضاء الكائن خلف الاصطبلات وقال :  
— لازم واحدة من دول .

وتطلعت الميوز والقلوب الى حيث يشير ، وجاءه الجواب من  
أكثر الواقفين ، وكأنه فرحة البراءة :  
— هم . مايش غيرهم . ودى عزيزه كلام . دول غرابوه  
ولاد كلب .  
قالوا هذا وتحفوزوا جميعا لأى اشارة تصدر عن المأمور .

غير أن المأمور لم يشر بشيء فقد عاد الى حذائه الكالج يحدق فيه ، وعادت عصاه الخيزران تمثت برياط حذائه أحيانا وبالقش أحيانا أخرى .

ثم قال :

— والله يمكن البت نبويه .

فقال صالح الخولي وقد غير رأيه على الفور :

— وما يكتشى له .. دى تاجرة ييض ولعية .

وقال الأسطى محمد :

— دى بقالها عازبة زمان .. حد عارف يمكن أستغفر الله العظيم .

وقال عبد المطلب الخفير :

— والله ما فى غيرها .

غير أن المأمور لم يمهلهم ، ما لبث أن استدأر ، ومضت عيناه تآرجحان حتى استقرتا عند الفضاء الكائن خلف الاصطبلات وقال :

— أبدا . هم دول مافيش غيرهم .

وغنم الواقفون حوله يلعنون الغرابوة ويؤيدون .

~~~~~

٤

والغرابوة . ليسوا من قاطنى التفشيش ، ولا يمكن لأحد أن يتصور أنهم من قاطنى التفشيش اذ اليسوا هم أكثر الناس فقرا فى بلادهم الذين يدفعهم الفقر الى اللجوء الى العمل فى التفشيش البعيدة وترك دورهم وقراهم سعي وراء يومية لا تتعدى القروش القليلة ؟ اليسوا هم ذوى الأسال البالية ، والرائحة الغريبة والخلقة الكريهة ؟ لا يمكن لأحد أن يتصور أناسا كهؤلاء من قاطنى التفشيش ، ققاطنو التفشيش كلهم مزارعون محترمون ، لكل منهم بيته وأولاده وبهائمه وجلبابه النظيف الجديد الذى يرتديه بعد انتهاء العمل ليسهر به فى القهوة ويروح به المآثم والأفراح . وليس بين قاطنى التفشيش عاطل فالعزب مبنية بحيث تستوعب المزارعين كلهم وكأنما هو مصنع كبير خصص جزء منه لسكن عماله ، وعلى هذا فهم جميعا يعملون ، وهم جميعا معهم نفود ، والزوجة تدخل على زوجها بسرير ودولاب وأطباق صيني وأحيانا بماكينة خياطة ، والعمل ليس مرهقا الى الدرجة التى لا يتصورها العقل ، فالرى بماكينات ، والحراث بأوتوميلات ، والدراس بماكينة كبيرة جدا تحتل وحدها نصف الجرن . وصحيح أن التفشيش يأخذ معظم ماتنتجه الأرض ، ولكن مايبقى للفلاح ما يستره ، ويكسبه ، ويطعمه ويجعله حتما ينظر الى الغرابوة هؤلاء نظره الى ثفاية بشرية جامعة مضطرة الى الهجرة كي تعمل وتاكل وتنال حظا من الحياة ، حتى

اسمهم لم تعلق عليه أحد ، رجال الادارة يسمونهم (الترحيلة) ،
والعالمون يسمونهم (الغرايوه) أما هؤلاء الذين يعودوا
(المقلته) والريقة فيسمونهم « الجلب جل العتج عنه ما جلو
ب سيد عجلو » ومعناها « الكلب كل انكشك عنه ماكلوا ناسيد
(اسيد الندوى) عجلوا » اذ هكذا يظنون الكاف ، وهكذا
يحقر فلاحو القنش كاهم ولهمجه وحى محرد وجودهم على
أرض تفتيشهم .

أما الغرايوه أنفسهم فقد كانوا لا يقيمون ورناء كبيراً للرحلة
الفاحين أو نظريهم وكانوا هم معززون لهم غرايوه وأهم ترحيلة
وأهم أى شىء قد يحظر على مال اسيد فما دام الواحد منهم قد
حظي سكان في الرحلة وسس أن يعمل أكثر من ثلاثة شهور كل
يوم وبأجر ، فليقل عنه القائلون ما شاءوا .

ولفضل يروع في أواخر اثناء ، وما أن تولي طوبه حتى تكون
بدوره قد تشفت واحرق الأرض السماء وسب لكل بدرة
حذر وبما لها سق ، وحين تكرر اميدان فمعطي المساحات اواسعة
السوداء يظفه حصراء حيلة ربابه ، ويحل ثوان ابدوده ولظعها
حينئذ بدور الحدال حول الترحيله يكسب فكري أفندي خطابا
للاداره في مصر والاداره ترد بحضت ، ثم يأتي الادن ، ويأتي
المع ، وسيسقط فكري أفندي داب يوم مبكرا ، ويأخذ أول
فطار ، ويصر في ملطا ، ثم نجمه غرة أوميبوس (لا يسمى أن
يبيدها في كشف لحساب غرة أخره) ابى قرية من قرى الموقية
أو العربية ، عبر مهم ، ففكري أفندي يعرف قرى كثيرة ومقاوين

أفندي ، قرى يسميها هو عش السل ، فسس فيها كثيرون ، أكثر
من اللازم . أكثر من العمل المضبوط ، وإطعام موجود ، وكلهم
« الحمد فقراء ، فقراء الى الدرجة التي كان فكري أفندي يسمه
هم رأسه حسرة حين يراهم في بلادهم وكيف يعيشون المهم حالما
يضع قدمه في بلادهم ينتشر خي وصوله بطريقة سريعة عامضة حفية
« جمع منهم منب ويكونون موكله . يسرون أمامه وحله وعلى
أبيه ويرمقونه في تدله وأمل وكان لديه أجولة أعمار سيفرقها
بهم بعد حين . يحووه وينافسون على لمسها ومع نظره . ولشاطر
من اسلم عليه وسفل بده ، وبديه ألف على ست المناول مع أنه
لا يكون في حاجة الى ذلك . فمن أعوام وهو يهبط اعرابه ، الطريق
الى بيت المناول في قرية صعبه كملك لا يسكن أن يصل فيه اسنان
به فكري أفندي حده الله غفلا ومعرفة وطربوشا وبانا أرزق هناك
« المناول واقف على عتبة السب داه نكن صحة قدميه فد
« منه وأوقفه على عه الشارع وسلامات بدور من النوع
« سل ، ولا نأس من دمعه تهر من عين المناول حسره على الأيام
« مدة التي مضت . ويصر الرجل على أن يادى فكري أفندي
« « المقتش ، ويخجل فكري أفندي ويتواضع ويقول : ياسى
الحج . وتطير رقاب الكثير من الحمام والبط . ويأكل المأمور
« « « مضطجع . وبحسبى القهوه . ويبحث في بلد دحل الصحاره
« « « عليه به المناول وأقسم بطلا أن يدحها ، سب صحة
خارج يته تزداد ، والبل الكثير يخرج من ججوره اذ قد جاء
الأمس في العمل ، بحر حون من حجوره وتعاقون أمام السب

وبصايحون جاء الفرج ، أولاد والأشباح تنفي معدن وبصايح
الصيف والمصيف فبدا أو كثيرا حول (اسمه) أو نحن المسمى
يقول الفر بسبعة قروش ، وقرش (فيه) يبقى بواقع ثمانية .
وبصر المقاول على عشرة . ويقول المأمور : تبقى مكشوفة قدام
أصحاب الأمليان ، وينتهي الأمر ربما الى تسعة . ويخرج الناظر
حامله ، ويشمر بالدفع والفجعة والأوراق الكبيرة الحضراء ذات
المدنة تلمس يده بالكاد ليعدها ثم تختفي في كيس المقاول
المصنوع من الكتان والمرسوم عليه هلال وثلاثة نجوم مكتوب
تحتهم . ولا أحد يراه . أخذهم بعضه . ما يدور هذا تحت
حتى يفرق المنادون المنطوعون في البلدة - العرب بستة نا أهالي
والصن على حساساتهم . والهاب تعلم الحذر مع أنه لا يكون
هناك حاجة الى مدين أو بناء فجعة (زهالي) موجودون
مراحمون عند المقاول في العدة على رأسه فجعة . رده .
الأبواب .

ويصبح الصباح وتأتي خمس من عربات النقل الكبيرة ذات
البصاري الحادة تحمل الأثقال (منها من يحمل حديدية على
أجولة الأرز أو المواشي) تحمل كل منها أكثر من مائة ثقل من
الرجال والبنا والنساء والأطفال ، وتحمل أيضا صررهم وقفهم
وقد ملأوها آخرها بزودة العيش وزلع المش واحده . حينهم
في كتلة ضخمة متزاحة لا تكاد تميز فيها الرجل من المرأة . لا بد
من البلاص . ومع انطلاق العربات تنطلق الحماجر المتلاصقة
المحشورة تعنى وبصحك وتصل رغبها الفرحان الى عند السماء .

بينما العيون .. عيون المرضى والعجزة وكل من لا يستطيع حمل
الغاس أو حتى الظفر ، عيون المتخلفين الزائدين عن المطلوب ،
رف الموكب المستقر . الموكب الدالف الى العدل والآخر ولعبة
الميش وملء الصدر أنفاس ، ترقبه في عجز بك ، وحيرة ، وربما
كلمة دليلة يتصلق بها الجار على جاره النصر .

وتعلم العربات قدومها الى التفتيش يسعجات غبار ضخمة
نرها . . . سلاها رضى . ومع هذا فبدا ما سرعى ذلك انهموم
ساد من في العيش لا أن نصف أحدهم . ورف العربات امامه
وتمول لمن يصادف وجوده وهو يصبح سائرا الخاب حمل
الجشج عنه ما جلوا .

وهناك .. خلف الاسطبل ، يرص الغرابوه مقاطعهم صفوفا
وراء صفوف . وسطعون الى العن والارسل المحاوره بصمون
قش الأرز والأحجار ، ويصمون منها مواقد وأفرشة .

ومن شرقي سمس يوم ماى سلفج في الحور راحة المش
وجد فجاء ناسه . ومن العبي واجن سبع حشخشة بصله نكسر
وهمهمات وصرخات بنت ثم تجد زوايتها ، وأصوات حيزرالة
يريس . هي لدى على فعة أحدهم دفا مباح مواسلا يستعجل به
أنهاء الطعام والمسير .. ولا يلبث الدق أن يتقل من القفف الى
الإفصة . واحساد . ولكنه أيضا سعدى لدى ، ثم بصرح الرئيس ،
وحسد يقوم الرحبة في كنهه سمحه عمقه اللول ، لا بد أن
تتمها مغرب مباتره . ويكون موكلهم أول من تصح قدمه فوق
المشاية التي ختمها الندى ، وتشرق الشمس وكل منهم قد تسلم

خطا ، ولا بد ظهر كل منهم محتى ، وعيه على اللطمة .

وقبل كل غروب يزدهج دكان جنيدى أبو خلفه وهو الدكان
اوحيد فى العربة الكبيرة . ردهج دلائلى لفت والذى
انحافه المندودة والانسواف الى حرجها عند انقضى وهى نصب
فى اناح ولوحها لعمدة به عمو وجه لانه منهم رب حليم
مالح ، يربح قرش غسل ، بتعريفه دقتر بافره ، وبسب حسدى
المرأوه واليوم اندى حادوه فيه الكه يبع ، ولمس ، بهى به مع
وتسكوم فى دبحه العرب ما منهم عدله ونللهم كلبه ، لهم
ونكن ، واكر فضعه منه عشرة ماساب ، فى العرب سما ، قبل
أن تظلم الدنيا ، يحبط حلف الانسل نحه اربب امدهح
رائحه السميت اصغير المشوى رائحة احبه غديه والعفس
والفصل ولصاوى الفسك ، يحلف اربب نوح فى مريح فاد عرب
مكويه رائحة حاميه ، من شدة دلائله وندهج سسمها اغلاجون
رائحة اشرجيه انصاعد اربو نوح ، وسفح الانصاع ، بوسع
كل ما استعاضت انداساره من العبد ، فعل له ، من او حادوه
او حشيه ، وحشى الصوى كل هذا كبا بحشى ردهج به عسى ،
بينما الصمت يسود المكان ، صمت لا يسمع خلاله الا أصوات
النشيش نغم اعشى ، وأصوات بعده ماسى حيه ، عند نار داني
النحاسية وتقلع منها ما التصق بقاعها من حبات أرز .

وتحمل الريح الصجة والرائحة الى العربة الكبيرة وقاطبها ،
صطبقى اسكاب وتضامد الضمبات وردد اسل ايدها نوبه حفا
وصدقا نفاية بشرية محطله أودثت الدم نسر يدعوبهم الترحيلة .

٥

لمس فكرى أفندى الدائرة التى كان قد رسمها بعصاه على
رب الاس ووسع فى وسطها بقعة واحد ح منها حطوبنا الى
محيط الدارة . من دار مقدمه عليها حتى لم يبق منها سوى البقعة
وقد خرجت منها خطوط مبتورة ، لم تكن لديه حطة واضحة ،
حتى مع فرائس به قد حدد ان الحافله من العرابوه ، فمادا ينسكه
أن يفعل ليعثر عليها . مضى يعتمر عقله ويده تدق بالحرارة على
رجل سرواله الأصفر وعيناه تائهتان فى ملل المفكر ، اذا كانت ثمه
امرأة من الغرابوة قد فعلت هذا فلا بد أنها راغبة الآن عند مكن
سرحانه لا بد من فنى غير المعنوى أن يصح به واحدة موددا
كهذا وبغده أو يموت معها وتذهب فى الصباح التالى لتعمل وتمسك
خطا ، والمسألة فى يده وليس عليه الا أن يتأكد .

تجهم وجه فكرى أفندى علامة أنه وصل الى قرار ، وتحرك
ومعه الجمع الصغير الى مكان الترحيلة . كان المكان خاويا ليس
فيه سوى بعض البقعة من الدارة ، حادوه من العرابوه
فانصاعد اربو نوح ، وسفح الانصاع ، بوسع
فكرى أفندى ومن معه هذا بنظرة واحدة عريضة ألقوها على
المكان ، ولكنه أثر أن يبحث بعينه لعل وعسى . وراح يتجول
مطاطا الرأس وقد وضع يدها واحداها ممسكة بالخيزرانة وراء
ظهره راح يحول عيشه ويحيط انشده اربو نوح .

آن وآخر من قبل الاحتياط . ظل سائرا هكذا ووراءه الصبح حتى وصلوا في النهاية إلى (أم لرحيلة) كما كان يدسوه قضاة حرة والمرأة عجوز من كثرة كبرها لا تستطيع أن تحدد لها سنا ، ومع هذا فهي تصل كالأنفاز تماما وتقضى نصف يومية ، غير أن عملها أخف . فهي تحرس سائر الرحنة وحاجاتها وترعى الغنم حتى تعود أمهاتهم في آخر النهار . وفيها المأوى ثمنها وغاب سنامها وهو يرى العجوز وحولها خراف لأصناف بعضها في حبسها وبعضهم قد سبح وحيا بين الصرر ، بعضهم يصيح والبعض الآخر هاديء ساكن عامل بعد شوب المرأة وتقدمها ، غالب لاسامة دهره كتب حائرة ملهامة لا تعرف كيف تصرف . ولا ماذا تفعل بالأصغر أو كيف تحو عليه وسه وبين حضان الأمومة ورعاية الألفال أزمان وأحقاب .

وعيشا حاول أن ينظر منها بجواب على كل ما وجهه إليها من أسئلة . فهي في عبوبة السن والعجز لا يعي لاحسن يقرب شرها من المكان فصرح فيه أن يسعد . والا حين يحذر لأهمها من العرب وتقوم احسنه الى تسهي ناسا كل ثم ومعها عيها ، أو انتي لا تسهي حين تروح تعثر في البحث مع أم من عيها وقد ناه بين الصرر .

ولم يكن فكرى أهدى حتى في حاحه لسؤال المرأة . فله يكن هناك أحد ، ومعنى هذا شيء من اثنين : إما أن تكون القاعة المحرمة قد تحالفت على نفسها وذهب مع الأنظار لعمل حتى

لا تكتشف ، وإما أنها ليست من الغرابوة وقد تكون من أهل العربة .

عد هذا الاحتمال الأخير توقف المأمور وراح مرة أخرى يحدق في القضاة ويحويه بعين نصف مغمضة وعين مفتوحة ، وفكر في محصل هو سبي من دفع ان اعامله معهم كمنه يوم لقامه والفس لمو مه . ولكن هناك احتمال وده بسبب . أن يكون اعامله من العربة حانية ومكان العراووه لطيف . احسان دعه قد لا سعدى واحدا في الف ولكنه احسان واليسار . عليه أن دافسه بسد استعرض العربة من هيئة وكانت النتيجة براءة نساها جميعا ، ولكن من الجائر أنه سهي أو نسي ، أو فاقته واحدة تكون هي الحانية ، من الجائر جدا .

به غص دمه . هه شكر ابي اقرب صاحب حواي الرراعه منه . م غص لا حتى تسحب دمه صالح الصوف الى بعمم سبب سبب له نماما . الا حين رفع صاح ذبل سره في نظره مأكرة مقترحة ، وقال في همس مبتسم :

ما تكونش نبوية هي اللي عملتها ليه ؟

خرجت كلماته هاسمة ، ولكن همساته سمعها كل المرافقين وعبت الانسحاب حنج ونؤكد اسم العراووه ويكد تحلف على المصحف . هه . تندد بالانها ، والباعت عليه ، وتشرح في كلمة من هنا وأخرى من هناك قصة نبوية التي كانت زوجة لعرجي من عرجه الحسنى . ومات . وتلاها العربة واحضان وسا وودان ضاعت لعربة واحضان وتحدث شهبها في (امومة) .

وعملت معاولة أُنار وحاربه ، وخدمته في سب الأمور السيئ ،
واشتغلت أخيراً تاجرة يبيض . ورثت البس والولد . بل حتى
أرسلت الولد ليتعلم في الكتاب ، وبه تمر في أي مهنة . ولكن
مسألة تفرطها في نفسها كأم مع سب أحد . ده مساحل وتكلم
ارتفعت الأصوات بسدد ويحج وراف أن الكلام على وجه
الأمور . وسدو أن أوافض حتى لم سدسي مامحه دلائل لافساع
بدأوا يتراجعون ، وبدأ واحد يقول :

— لا يعلم الغيب سوى الله يا جماعة . ورد عليه آخر :

الشیطان شاطر .

عبر أن نوبة لى تسير عن ساء اعرفه بأداف ورفه وحجبال
فصه سميت يككد يفسق على نهاية سدسها المكسرتين . نوبة هذه
لم تلت أن أحرست كل الأسس حين شاهدته الأمور ومن حوته
وقد غلبت (البس) في يده . واحب بطرق زناوب وهي في أم
صحة وتسال عن ليض سدسيت لا نظار حسد ثامه الى
صالح تكدم من حدها أن بحرق مافيه الضوف وسامه اسضاء
وحلبه الأسود الشقين من لا حبه سدس وساعل سدسج عن
الأنظار المصونة انه بأن مد يده في حبه وأخرج صندوق سجاره
واتنحي مكانا بعيدا — من قبيل التأذب — ومضى يلق سيجاره

أما الأمور فقد غابت مامحه سدس رؤبه سدس سدس مع معادرة
المكان وقد بدأ صدره يضيق ، وزعق بصوت مرتفع .

— الركوبة يا عبد المطلب .



لم بعد ثمة أمل الا أن يجد انفاعله بين أيدى الرحمة الذي
يعملون في التيط .

وجاءت الركوبة بعد قليل ، حمار ناعم متملىء لا يظهر منه
عرقوب ، ولا تبدو في بياضه الناصع سواداة واحدة ، يرتن لجأمة
إذا ما خطا ، وخطوه خطو حصاوى أصيل .

استند المأمور الى كتف عبد المطلب وبدعه قوة من جسده
كأن ينخ لها الخفير ارتقى السرج المكسو الأنيق .

وما كاد الحمار يحس داسنواء رآكه فومه حتى هب بهما طوبلا
منه كبرياء ، ثم اندفع لى لإمام و غلى ورءه كل إحولة ومعتن
التلمية وعند المطلب الخفير والأسطى محمد المعجور .



٦

كانت الشمس إذ ذاك قد عادت قمم أشجار الكافور العالية
المرروسة كالسهم المهب حول رأس العيش ، وبدأت تحت لعللى
لى قلب ليلاء . كان انفرق الذى سلكه ليلاء قفرا حس على
جانبه شجرة : ولا حتى تثبت فوقه حشيشة ، بل مجرد خط تعين
من أراب على يمينه مئات الأفدنة وعلى يساره مئات . وكان
العند صب ساكنا ذات السكون ردى الذى يدرك دائما
بوجوده فى ذلك الزبرج عاصلا عبيد . ولم تكن يحدث ذلك
السكون سوى ددب رجل لركوبه الأربع وهى تدق الأرض
واحدة وراء الأخرى فتكاد تفوق فى التراب وتثير سحب الغبار ،
والعبار يهال على وجوده اللاحثين خلف المأمور . وركوبه ، عبار
كذلك داسع وعند الشمس لا ترحم بدأت تشوى رؤوسهم
وطهورهم . حتى ديون ثوابهم لم يفلح فى منع نارهم . أما فكرى
أعندى عند وضع مسئلة أسفل الطريق محاولا أن يجعل منه
صحة . كان لركوبه سير يسى كعب حدائه وأعفها سحره من طرف
حبر . نه لئلا نه لى وضع فى آخرها مسمار صغير معد لهذا الغرض
بالدب . فخرقة جاءت بين الأكثاف . ولم تكن الركوبة فى حاجة
الى ضرب نه بحر . عند كات مستقيمة بكل ما يملك من قوة

مثل أركب الصغير بهت أرض أشبهه ، وهو وأموره وتابعوه
وحى سحب العبار الى شرفه لا تعدى مجرد نقطة صغيرة منحكة

في ذلك المسطح الشمسي اوسع المدن لا تدرك لعين مداه نال
الرك ماص في صمت ، الركوبة تلهث والرجال يلهثون والعرق
يسيل ، حتى عرق فكري أفندي الركوبة الجالس كان هو الآخر
يسيل . ظل الرك ماضيا هكذا مدة أدرك بعدها الأسطى محمد
العجوز ، وكأنه فجاه أن لا يافه به ولا حس في الزمان . فكس من
اخرجت بعض يده من حكاية القيط ، وجلس على حافة الطريق
يكس لثته ويسريح . جلس على الحشيش القصير النابت على
شاطئ الخليج وكأنه شجيرة عجوز قبت بينه فجأة ، بل ما لبث
أن فعل مثل شجيرات الحشيش احسن عنه . فكما مدت هي
حدودها الى الماء الجاري في الخلق . مد هو الزجر قدمه وساقيه
بلها مداه وكذا يسمى هذا . مد هي كاد غشي عليها نظى
الشمس .

أما بقية فافهه فمد مص في مديها ، كاسا ، حتى سحلف
العجوز وكل منها مشغول بمرقه وشقاؤه وحاله .

وما من مرة امتطى فكري أفندي الركوبة فيها وسرح الفيط
— وهو كل يوم يمتطى الركوبة ويسرح الفيط — الا وأحسن
بمنعة ، فالحداد لا يمشى ولكنه يرقص ، وكل حركة منه فيها
رشاقة لا تسلك ركوبة . ولكنه هذه المرة كان سدل ثيابه عن
مصه اركوب وحشي عن عرقه ، اجرد الرجل الذي معه ، جلته
ببنت امشكلة حتى ولدت به دث اصباح . كان عليه زبون مره
أن يفكر في شيء بعيد كل البعد عن مهته كما امور زواعة ، تلك
التي كان لا يفكر في غيرها ، كان عليه أن يفكر في شيء بعيد كل

البعد عن البعد والسماد والأرض اعطشى والأرض نسي جان
وقت تسيدها ووجب . أما هذا الشيء الذي كان عليه أن يفكر
فيه فهو سرحته . لا كك اسد أن يفكر فيهم ، بل واقع أنه ما تعود
أن يفكر فيهم الا كقدر . انهم يلففون ايامهم ويحجمون اقطار
وبعد من مداه . شات فيهم نمر واشعره . كلهم رجل
شفتها جرح في جرحه وحش في الأرض خضه ، وأيد معروضة حرقها
الشمس ، ووجوه متحممة لا تعرف حزنها من فرحها ولا رحلها من
ماتها . حتى الماس لا يرقن بالمالس لكرا أم . بعد ولا من
جلاب الرجن وقد حل لونه في شارب فيه . عروق وثوب المراه
ارنود ، يذهب الذي يسيل الصوت من كل مكان منه ، بل كشي
ما يحدث أن يستعير الرجل منهم جلباب امراته ، وتستعير المرأة
جلباب زوجها دون أن يلاحظ أحد أي فارق أو مميز .

تعود فكري أفندي أن يرهم هكذا ، بل اوقع أنه سبه ونبي
نفسه . لكن يستعير من بين هذا القطيع البشري كله امرأة
وحده . كلهم رجله معاه . بعد ، بل أكثر من هذا . لقد
احسن أن الناسه منهم ، قال هذا للناس ، وذهب نفسه ويحث
حيث لا يمسس . ولكنه كان يعمل هذا وكأنه ضعه من وراء خفيه .
كان مأكدا أن معاه به ومعها . لم يكن يصدق أن من الممكن
أن يوجد بين هذه المجموعة مرآة أو بنت حسن ولا حالالا كان
أو امشاة . لم يكن يصدق وكان لى ولدت المساء لم يكن امرأه
بل كانت رجلا .

هو مضطر اذن والشمس تلهب رأسه رغم المندبل والطربوش

أن يصدق هذا ، وأن يبدأ ينظر الى الترحيلة من زاوية أخرى .
فهم صحیح أفعال وراوية ولكن أفسد ساء تحليل ويلدن
بل أكثر من هذا يحلل ويلدن في الحرام .

الحقيقة لم يسترح عقل أفندي أبدا لهذا التصور فقد
كان من العسير عليه أن يغير نظره الى الترحيلة في لحظة ، وكان
من الصعب أن يستحيل الفكر منهم في خاطره الى امرء أو بنت
سلم مع أرجل ويحل ويحل بسبب أسلحة على عرش من
من أفسد الذي لم يعود نفسه حلال في نفسه كذا قال
يصدقها فليكن هذا ، فلتكن الفاعلة منهم ، عليه أن يعثر عليها ،
ويراها رأى العين ، ويرى كيف استطاعت أن تفعل هذا
بفساد فكري أفندي أن يصل الى الأنقار بدنه .
بل وبسبب حادثة اليوم ، ويتصور - وثمة لذة خفية تصاحب
تصوره - القصة التي انتهت بمشهد ذلك الصباح ، راح يتجسس
بخياله على القصة في غم من من يحل وهو محال
على سورة في غم من من يحل وهو محال
أها نشأت بين البنت وأحد فتيان -
انكشوف الصدر الملوحي الوجوه ، وكيف تمرب اليها ذات
لية وكان ما كان .

وتشر الحمار وكاد يقع ، ولكنه تمالك نفسه في قوة . وفي
نفس الوقت تعثر خيال فكري أفندي السارح في شيء حطرت له
حالا . فقد أحس باستنكار غاضب يجتاحه . معنى هذا أن الخشنة
أربكس فوق أرض أسس . وصحح انه من صلب انفسه ،

وليس أبدا حامى حتى المصنعة فيه ، ولكن مجرد شعوره بهذا حميه
يقضب ويهال على الحمار بالعصا الحيزران ضربا جزاء له على
تعاونه . وكه وهو في هذه الحالة لم يسهل أن يلاحظ
الذي عثروا عليه اليوم كامل النمو ، والترحيلة في انفسه
ما لا يزيد عن الشهرين . هنا فقط كف فكري أفندي عن ضرب
الحمار ونزعه وأحسن براحة داخلية تهب عليه من صدره ، الجريمة
التي كانت من قبله من قبله من قبله من قبله وهي ليست
يجب أن يكون الليل ودون أن يشعر بها أحد . ثم خفته حتى دون أن
يكون هناك داع لعنقه .

يا لها من عاهرة !
ثم لم تكف بهذا وإنما تحملك على نفسها ورجعت مع لأفكار
على خيوط القبر حتى لا يشرب انسان الى سرها .

يا لها من جبانة !
وكرر ودع أفندي الحمار لكره قوية وهو يمر بده ليسبح
الحمار الذي كثر حول قومه وتساقط من طرف أفعه ، وقول في
زئير خافت
- أعوذ بالله !



— واد ياعرفه .

وعرفه رئيس سواقي الأنفار ، أي رئيس الترجيلة ، وهو الذي فاز بامساك لجام الحمار هذه المرة ، وهو الذي يفوز كل مرة ، قال :

— العواف يا حضرة المأمور .

واختار المأمور أيرد التحية فيبدو وكأن (البلمة) قد دخلت

عليه . أم يتهفد - فيبدو قد دخل على - ما به عمل شديد
أو لما يهفد من لهفد على الحمار ، ولكن يبدو أنه سمعه
كان عليه أن يسأل عرفه كما يسأله كل مرة :

لصداقة أرباب

— ع السنجة عشرة يأسعادة اليه .

وتجاهل فكرى أفندى سروره بالقلب ، وزغر له قائلاً :

— وان لقيت لطمه ؟

فأمال عرفه رأسه ووضع كفه على عنقه وقال :

أرفسى .

وقال فكرى أفندى بصوت لا يعرف سامعه ان كان جادا أم

هازلاً :

— يلعن أبوك على أبو رقتك .

ولأمر ما كان يحل فكرى أفندى أن هؤلاء الناس يرحلون
حميمة حين يلعن آباءهم ويشتمهم ، بل لا بد أنهم يحسون بنوع
من الهسه والهمز وكأنه يستهينهم رباً وعاباً . وهي في عرفهم لا يد
آيت ود وصداقة وتبارك ، تنازل منه ، منه هو مالك هذا الملك

كنه والأمر اسمي فيه . مك (الأصدية) أو (النعش) أو كما
سمى أحباب (الدار) . أكثر من ثلثي فدان من أحواد الأفيان ،
بعضها من بني بنوب وما كتب وبها ثم ومحصيل بعد تصرفه ،

هو اليد الأعلى لهذا كله سيد العشرة الخولة والباشكانت
والخمسة الكتبة والأسطوات والخمراء والأجراء والفلاحين
والمزارعين . هو الذي يمكنه أن يميز من يشاء ويرفد من يشاء

ويحجب ما يشاء من سائر . في استطاعته أن ينقل العلاج من
عمره لغيره ، ولا عيب له أن يزرعها ، بل ويستطيع
أن يزرعها من دون أن يراجه أحد أو يجرؤ

أن يزعجه في سائر من يشاء بالقلع
أو يزرعها من يشاء من سائر من يشاء بالقلع
إلى المركز ، ولا راد لقضائه ، وما يردده هو الحوقف . وهو لا يعاف

إلا من اثنين : رئيسه المعتش ، وصاحب الأبعادية . والمعتش يبي
للرور كل شهر والمئات يأتي كل شهرين أو ثلاثة ، وبأشهر
أشهر من يشاء في العيش يوم دوماً ما كان ها

المالك كنه ، ألا تبدو شيمته حينئذ لغير من الأنفار أو سائق من
السائقين منحة وتنازلاً ؟

الواقع أن مجرد مرور كل تلك الخواطر في رأس أفندى
كأنه لا يهتم به . من أجل هذا سألنا أنكر أن يسمع
ولم يسمع منه شيئاً . له سحرته ألبس من قميصه كعباً موصى
إلى حذاءه . وأما هذا فعلاً ، من يسمع شيئاً من أحد من

الأفكار أو استأقبت لا تعلم فاستأقبتى لمحيته . تردد برهة
ولكنه وجد نفسه يقول :

الأفكار كلهم موجودين يا عرفة ؟

قال عرفة في حماس :

— بالمر .

افت متأكد .

— على الحرام الثلاثة من بيتي كلهم موجودين .

ومع هذا لم يصدق فكرى أفندى هؤلاء الناس من رأيه

يسمعون بعد الأمر من فئة الناس . أو حتى سمعوا مسعد أن يقسم

بالطلاق من أمه . أن تكسب تعريفة ، وعلى هذا قال :

طلب منهم

وعل عرفه :

— حاضر .. أنا خدام .

ومضى عنهم بصوت غاب مرسع ، وثب .. بعد لا يفوته أن

يرى حسنة وحرسه على مقبضه العمل فيصيح على في مهر محنى

أمامه بحيزرائته الرفيعة في ضربة تمثيلية .

عد الرئيس عرفة الأفكار مزينة . وفي كل مرة يؤكد لنفسه نهجه

بدأ اشك والخوف من أن أمه أن اعدد مسجون وثب الأفكار

كلهم يسكنون خطوطا ويعملون .

واستغرب فكرى أفندى واندعش . كلام الرئيس صحيح .

ولكنه متأكد أن واحدة من هؤلاء الأفكار هي التي ولدت ذلك

المصط حكيم نفق هيدا مع وجودهم جميع في ذلك الطابور

المحنى الخفوس . لابد أن أن افاجره عصب على نفسها واشعلت ،

ولكنه من تصببه . فبعد ساعت في حرسها مسندو كتار الولادة

حتمًا عليها . كل ما عليه هو أن يمر عليهم أجمعين ويحاول أن

يلتصص المودة من بينهم . حجرة على والدة في أميل وحضت على

أبها ، حذبها حتى صرخت به عدل وانصت احضرات وكنها لست

بشرا وكأنها جنية من الجنيات أو شيخة من المشايخ .

دخل المهر محنى في سريره ثم صفت رثاء ، ومضى بضوم

شخص بهمة وسوق فمسك يدى كل مرأة أو صب يأملها ،

العمور تركوا وسبق سوفت لها . وسبق قبيل في ركبه

عده . وروى مره يدعى فكرى أفندى في ردى لعراوده وملاستهم ،

وعرف أن سرافق سائمه بوبه خدا نسل في انكسب وسهى

يذيل مكشكش ، ودائما ألوانها فاقعة .

تعدى فكرى أفندى منتصف خط الأفكار دون أن تستوقفه

واحدة وكاد الخط ينتهي وهو لا يشعر على ضلالتة المشوكة .

وبعد لحظ من بعد على الأرض صراخا ، مبحا ، هو الوحيد

الذي عدده به مهر نسى . رفع من الوسيلة ، انتهى بردهن

عريضين بارزين ، ورأس هو الوحيد البادى عليه أنه رأس

أتى ، تمصص بقمطة ملونة تظهر شعرا أسود لامعا غزيرا كشعور

النساء .

وقال لنفسه : لابد أنها هي .. وطنى يابنت .

قال الحلة الأخيرة وهو ينهال على الظهر المحنى فعلا ،

ولا حاجة له إلى قضاء آخر . سرقة من يور ..

فاستأوى لها المحل والمساكن لم يملكها فاعتدت لنصع بها
على ظهرها المضروب وقد أفلتت منها شهقة مستعينة . وحشد
الأمور في وجهها المتقبض في ألم ..

كان وجهها معاني سليلا لا مرض أو ولادة فيه ، وعلامات الألم
المرتبطة على ملامحها علامات ألم حديث سببته ضربة العصا
ولا يمكن أن تكون علامت ألم دست سببه ولادة . وأسل الأمور
إلى ظهر آخر ، ومن ظهر إلى ظهر مضى يتفقد ويحلق ويتأكد .
وأنهى حشد الأفكار وعطى فكرى أفدى قد بلغ منه فهو قد خرج
من استراضه سبب الدين وحشد فرائده .

وفجأة وجد فكرى أفدى نفسه يهدير في الرئيس عرفة :
— طلع العمل من الأرض .. وخليهم كلهم يعمروا واحد واحد
قدامى .

وحشد عرفة في ده مؤات . وله نفس الأسمى أثر سحبه حدى
من الأمور .

وبدا وكان الأفكار قد فرحوا كثيرا بقرار خروجهم ، إذ هم
على أرض سببهم خروج . واعتدت فلتة من سببهم خروجهم
العارمة في قسوتها وحدتها . الاحياء اتى تستمر أكثر من عشر
ساعات في اليوم ، فرحة كبرى أن يستريح منها الانسان دقيقة

أعدل الأفكار ، ومدوا أيديهم جميعا وبلا استثناء تضغط على
أمانهم في سببهم اختراع . حين فهو من شدة سود
القصيرة التي اعترتهم وعرفوا بقرار الأمور ، ابتهجت له النساء
والبنات كثيرا وراحت كل واحدة تمنى قصها بألف ليلة وليلة

من ... من احسد الأمور ضما سبق عليها ، وستبقى
تحت ... من حشد كحادثة في سبب حادثة الأملس
أو مناولة الغلة ، حيث الظل الوارف ، والجلوس ، والطعام الكثير ،
وحيث لا عصى ولا خيوانات أو سواقون . أما الرجال فانهم مصوا
... م عليهم بسجن طويل ..

ومر الأشار أمام الأمور . وراح فكرى أفدى يحلق في
الوجوه .. الكبر والصغيرة .. المعجزة والصبيبة .. المسحوق والمخسنة
... في سببهم خروجهم . اجابته وانصره ، الأحساد التي
توشع ... ولم يجد أفدا في حشد من الأحساد
ولا في ... حده من لحسن أن يكون هي ثلاثة
العائلة .

وهدر فكرى أفدى يأمر عرفة بأرجاع الأفكار إلى الأرض
ويلمس آباءهم وآباء ، يجد وحقد هذه المره
وسما كان يضع قدمه في الركاب ويستعد لمفره إلى سببهم
فوق ظهر الركوبة كان يقتصر عقله بين مستحيلين
فمستحيل أن تكون أم اللقيط من غير الرحالة
... يكون هذه ... الأفكار الذين يحضنهم لموه



المرء قد وقعوا من بعيد يسمون ما يحدث . و يفتنون الأشياء .
وتهايمون .

أما فكرى أفدى المأمور فقد كان مشغولاً حلقاً ، ذلك أنه رأى
أن ينتهز الفرصة ويعد لرحيل الأمر وأنهى في المأوى
قمصانهم عندهم كثيرة وما أقل ما يلبس من ملابس
فريق المسافر من ثيابهم ورسولهم فلبسوا ثيابهم
عشرات المرات يشرف بنفسه على الديك الرومى ويتدبر
الذى أعد في بيته خصيصاً للزومة . وكان أهالى العزبة حين
يرمقونه في البهار وهو داخل أو خارج من مبنى الإدارة يشعر هو
بعدة لأجل لها فهو الوحيد بينهم حارساً على ما يدعى
مع المأمور واسمه الوكيل والسامع على مقاس السجدة

وانتدأ النحس

وحيء بكل امرأة وبنت من نساء الترحيلة بعد لكرها مرات
لكي تخاف وتترفع ، وحيء كذلك بنوبة وهي متعلقة ببنت
الجنس لا يريد ركة وجهه كمن هو كمن رماها ، وحيء
الحقير والأسفل محمد .

وانتهى التحقيق ، وثبت أن القبط مخنوق وقيدت الجريمة ضد مجبول ، وصرحت النيابة بدفن الجثة الصغيرة في حيازة التفتيش ، وتطوع عبد المطلب بتكمينه وتجهيزه ودفنه .
وأكل رجال الأمر والنهي الغداء وقالوا سلاما .
وانتهى اليوم .

~~~~~

9

اتتهى اليوم ليسلم التفتيش ، ادارة ، وفلاحين وموظفين الى  
خالد بن سفيان . فبعد ان غرما حكاية اللقيط حتى اراحوا قلوبهم  
وموا : الترجيلة ، ولكن هاهي ذي الحقائق تثبت لهم ان الترجيلة  
رسمه ان اسلحة بسبب مهم حتى فكرى احدى الامور اندى  
كان على اسنى في اسلحة وحده من ارجحة بد الشات بسرب  
الى . . . . . مع هذا فكلم رضى افسرهم سارحين الى العبد  
و . . . . . بها عنه تروح عنه بحث لا وتى عن اسسه في  
و . . . . . على . . . . . علامات بغير ما احرم .  
وكان من لادى بدمع . . . . . والله حتى الان لم تسجد  
فوازع عنه تتحرك فيه كلما رأى بنتا او امرأة من باب ارجحة  
في . . . . . مع حده من . . . . . ادعى بفسقه  
ولباس انه يزغ بنتا في صدرها ليزجرها ، وارطبت يده بها  
بشديا ، وروع قليلا حين وجده بكرا مكنترا جامدا كالكرة  
اشراب .

بسم الله الرحمن الرحيم  
الحمد لله الذي هدانا لهذا  
ما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله  
والحمد لله رب العالمين

١٠٠







طريق زوجها وهو فدم من المذبح ، وبره من قبل الجسد مدفوع  
وتفتصب منه الجرنال ولا تعطيه اياه الا بعد قراعه انما منه  
ومحبوب واقف عاجز ، يخاف منها أكثر مما يهاب لوالده عن  
الأمور ، فهو يستطلع القاء عبه التأخير على قطار الدلتا الذي  
يسير به مواسم ، ثم وكه أنى له انفسه بعد من امسك  
المعاصر ، والبره انى ركنه وادها فيها مع من دعه به  
حيث الادارة ، وهى على الدوام تنتظره وتقطع عليه حبل  
كانوا يقولون ان الخطابات يتبادلها صفوت ولنده عن طريق  
محبوب . تعطيه هذه الحظ وبدا من أن يذهب به لفتش الدلتا  
بهرورته الى حيث يدوى طبات مدفة صفوت ولم يكن يدوى  
عد آخر غميش ، وله الحلاوة واليام والبقيش .  
كان خبر هذا كله عند مسيحة أفندى ، وكم من مرة أوقف  
محبوب وفشبه مدعى أنه يبحث عن خطاب ، وكل مرة لا يجد  
شيئا فى حقيبة محبوب ، ولا حتى فى جيوبه حين يصر على نفس  
لحبيب

واليوم وبعد هذا الحادث الغريب ، لعب الفأر فى عب مسيحة  
أفندى . ولم يكن وقت انصرافه من المكتب قد حان ، مع أنه ليست  
هناك ساعات عمل محدودة الا أنه تعود أن يبقى فى المكتب الى  
وقت الغداء . ولكنه يومها قام وغادر المكتب والادارة وعبر  
اضطره لبحره وبوجه الى سه الدلتا على رأس حربه . نسى  
تحيات الملاحين بغفمة لا يفتح فيها فمه ، ومع هذا . وجها هو  
فيه لا ينسى أبدا أن يضم ذيل جليابه ويرفعه مخافة أن تعلق به



قذارات الطريق . كان في زيه الدائم : الجلباب الأخضر النجى الزمضر  
الذى ليس له ياقة ، والباطو الأبيض والطرشوش ، جميعها يضاء  
ولكنك لا تلبس فيها معه . كنت دائما معك في روحها المميرة .  
حين يأتي لها ينطلقونه الأخضر متسحبا حاملا في ثنية ذيله الطين  
والحصى والأتربة . وتكون له لاسوى علامة عند مسحه  
أفندي الذى ما رائته أبدا وعلى ملابسه ذرة تراب . بل تبلغ  
بمسيحة أفندي شدة حرصه على ملابسه أنه حين يافى ويضطر  
استدارا إلى اليمين أو اليسار لم يجد له سوى ملابسه التى تدور على  
لدوام جدرانها كأنها سبب لعدم مع أن سببها لا يسر عن اعراضه أوام  
بأى حال . يجمع حرصه درجة أن يصح سديس حول نفسه محذره  
أن يسرب عرق وجهه إليها اذا اكتفى بوجه مدين واحد  
بقامة قصيرة منحنية ، وبوجه شاحب ( اذ هو الوحيد بين  
مسكني المدينة الذى يعمل معمله خارج في ظل الشك ) . ودون  
خضراء كثة . وسلبس ملبوسة طيبة الرائحة مسحة جسد من جلاب  
انفلاش ابيض قودى الى اليمين . وسلبس ملبوسة في حقها  
الدور في الأرياف الالاما ، ودخل . وكان لمسيحة أفندي ضجة  
دحرجة مناديه . ما ان تلاحظه الباب حتى ينادى بسله واستسارته  
وتعليقاته . هيه .. اتسوقين .. بتعملوا ايه .. بعث لكم الواد  
بالخضار والأحمر في اعداده . ملحة كاس سجود . لا يه  
دى كوسه . وسلبس بالمد . سربس ديبك ولا يه ..  
يقول هذا وهو يبر رأسه هزات من يبحث بأفقه عن شيء ،  
وينقب بينية الرماديتين عما خلف كل شيء . ولكنه هذه المرة

دخل صمدا . حمد . في السالة المصينة أكثر من الارام كدت عصفه  
زوجته حالسة أمام طليقة صغيرة ومعها أم ابراهيم زوجة فقى  
التقيش ، ودميان سلفها أخو مسيحة أفندي ، وكان الثلاثة  
يصنعون ( شعرية ) . ودميان يصبك العجينة ويقفلها بيد ويده  
الأخرى . وسلبس بالمد . وسلبس بالمد . وسلبس بالمد . وسلبس بالمد .  
بعد تقنين قولى يارب .

وكاد مسيحة أفندي ينهر أخاه . ولم تكن هذه أيضا عادته ،  
فهو يعرف مثلما يعرف كل الناس أن أخاه معتوه ، وأن عقله يبدو  
أنه قد كف عن النمو منذ كان طفلا ، فأصبح له جسد ورجل قصير  
صغير . وسلبس بالمد . وسلبس بالمد . وسلبس بالمد . وسلبس بالمد .  
سود . كثة كفرشه الملايس لا يحلقها الا كل حين . وجين . جلبابه  
الكزميز لم يبع أبدا . ولما فيه ذات الحائط والمصنوعة من نفس  
قماش الجلباب الذى رأسه عمره ما خلعهما . وعمله الخدمة في بيت  
آخيه ، مطبخ الحاس ، ويقسم الدجاج ، ويعلم أرجل الكتاكيت  
حتى لا تنوء مع كتاكيت الحيران ، ويفصل الملايس ويحضر الطلبات  
من . وسلبس بالمد . وسلبس بالمد . وسلبس بالمد . وسلبس بالمد .  
يعبى . وسلبس بالمد . وسلبس بالمد . وسلبس بالمد .  
فمن . وسلبس بالمد . وسلبس بالمد . وسلبس بالمد .  
ثم يرفع وجهه الى السماء وكأنه يقرأ ما كتب لك ، ويبلل سبائه  
وابهامه بلعابه ويسمعهما فوق ظهر يده اليسرى ، ثم يرفعهما ويقول  
لك . وسلبس بالمد . وسلبس بالمد . وسلبس بالمد . وسلبس بالمد .  
ولعبة رجالي للاماء . وكل ما كان بهم النساء ، وأحيانا الرجال ،

هو هل دمان بيع النساء أم لا يتفهم ، بعضهم يقلن ان الست  
عقبه لا تسحق غيبه وبعامله كقصي حريمه ، وبعضهم يقول : لا .  
ان دفعه الكثرة سوداء حير دليل على راحله ، وسوداهه مادام لم  
تتروح بدمدم ، فيصحات سحكه امره لى تدمه وكان راحا  
يعاول أن يقند ضحكة الأطفال ويقول : الهى ربنا يخلبك . حتى  
لقد بلغ العتب به الى حد أن بعضهم كان يطلب منه أن يسلم  
فكان يقول لهم : أنا مسلم وموحد بالله ، وقرأ الفاتحة وأنه  
الكرمى ، ورغم هذا فقد كان شاكيا . ولما ان دمان حبس  
والكنه تسبعت . انه ح في الامر ان دمان كان يحس مسيحه  
أذى المشاكك . وان سحر من شمس الاممات من مراح  
أو احب امر مدهج وكان شاكيا . حتى هو يستمعون  
يسخروا من الاداء في مواجهتها حين يسخرون يديان .

عسم مسيحه أفندى يمينه في الصالة والحجره .  
المفتوحة ، ولكنه لم يلح لئله . . . . .  
عنها زوجته فقالت له : تمبانه شويه . . . . .  
وكانه فوجيء . تمبانه له . . مالها . . وما . . . . .  
ايه دي . . وهي . .

قال له سده راحه . . . . .  
وعمل مسيحه أفندى حجره اليوم . حجره قوم سده راحه  
القدم . نفس ( جهاز ) عفيه الذي دخل به من أعوام كده منسب  
الدولاب بلا ضلف ، والسرير جددت ألواح مرات . وعبداته عليها  
بص دبت سود مسجده ، واسموسه معفه من ليله نواح حيا

والربعه مسطوحه . كدت اسموسه مسدله . وحتى قبل أن يرفعها  
قال والعار قد بدأ يزداد لعبا في عبه :  
- مالك يالده . .

ووجدتها نائمة . وحسب أنها تتناوم وازداد قلبه اضطرابا ،  
ودفع . . . . .  
أحد . . . . .  
خشوته فتحاول باستمرار أن تجعله يبدو حريزيا ناعما . كان  
شعرها منكوشا ، وخصل منه تعطى جبهتها ، وعيناها منتفضتان  
دليلا وكانها انتهت صاحبها من نوبة بكاء .

سألها أبوها عما بها ، فقالت له : عندي مفص . ولأمر ما ،  
ربما . . . . .  
ومسح . . . . .  
وحسب . . . . .  
حريمه . . . . .  
وبعد . . . . .  
لاول . . . . .  
مسيحه . . . . .  
مدى . . . . .  
الوالد . . . . .

استم . . . . .  
نحاه . . . . .  
أحبه . . . . .

ابنته لئلا بالذات . حياتها علنية أمامه وأمام أمها وأمام الناس ،  
وحتى اشاعة رسائل العيون والظرات والاشارات بينها وبين  
صفوت تكاد تكون علنية هي الأخرى ، وحياتها العلنية هذه هي  
كل شيء . ومن لم يكن له يكون له حجة . . . . .  
مع صفوت ابن الأعمى في تلك المرحلة ، في شكل قصة  
حيرى تريد الاجابة ، الأمر جاء على شكل حصى داخلية اجتاحت  
مسيحة أفندي دون أن يكون في استطاعته النطق أو التنفيس .  
لئلا مفصلا قد يكون حقيقيا وقد يكون حجة وستارا . وزوجه  
عقده . . . . . تكون على عهده بها كثيرة الرغى واللب والتعلق ولكنها  
رميقة عمره الوفية الأمانة ، وقد لا تكون كذلك ، قد تكون هي  
المتستر على بنتها ، بل وما أدراك أنها لا تستر أيضا على نفسها .  
لم يعد في وسع مسيحة أفندي أن يبقى بالحجرة فقد أحس  
أنه غشيق وأن ليس باستطاعته الكلام . غادرها الى الصالة حيث  
الشعرية والخنوع حواري . . . . .  
به وهبهم وعلمهم . . . . .  
وعادوا الى البيت . وشهد جسر التربة المتد أمام البيت  
أعرب حواري . يدور بين الزخرف . . . . .  
في كذا اسماء بوهج ما بين كبريا وبرسل على الكون حبيب ،  
ومسيحة أفندي سائر وحواره صديق يحاول لأم مرة في حياته  
أن يتحدث حديثا حديدا . يحدث روح لأخيه . يحاول أن سانه  
كان قد لاحظ شيئا أو قص الى شيء . . . . .  
والحرام والحلال ، ودمشق سادر في رواية عربية عن دجاجة كل يوم

ضد . . . . .  
فد . . . . .  
أن يذهب ما فيها من كز وسر ، وأن هموا تركوها أن يسرقها  
الجيران .

لم يعد مسيحة يحتفل ، زجره بعنف وسبه وتركه  
. . . . .  
ثم ما لبث أن أدرك أن أخاه سبه وشتمه ، ويبدو أن تلك أول مرة  
كان يحدث فيها هذا . اذ ما لبث أن راح يبكي وقد خلع ماله .  
يجفف بها دموعه ، وبدت رأسه صلعاء لامعة تقطع شررا تحت  
الشمس .

~~~~~

في نفس ذلك الوقت كان صفوت ابن المأمور متكئا في شبه
عسوة على مسند الكعبة الوحيد في سبأ أحمد سلطان كتب
الإشارة في ليله من . وتلك كانت جلسة صفوت المختارة . حين
سوى أحمد من عمله ويؤوب الى بيته ، فيضطجع الاثنان أحيانا
حول (لبور) ، وأحيانا حول امرأة واحدة أو حول فتاة . أحمد
سلطان هو الأعرب الوحيد بين موظفي السلطنة . وهو أعز الأصدقاء
الذين يملكون معرفة في لغة المناصب . سبأ أحمد في زمن من
الموظفين . سبأ أحمد سلطان هو الوحيد الذي في سبأ
سلطنة كان شامسا . وأهم من هذا . كان سبأ في نفس
والخدمة والمعرفة الزكية . كان كسره وسكره من حديث جند دير
مفتش . لم تكن سبأ في المعنى المعهود هي سبأ بضميمه أحمد
سلطان في معنائه . سبأ لا يسكن في سبأ ابن المأمور . سبأ
ورئيس السبأ . وفي مداعبة سبأ أحمد جند من من السبأ .
وأحمد بعد لا يجيد سوى امرأة واحدة . ولكنه علم كيف وصل
الى وظيفته تلك ، شأن يسهل وبين سبأ الذي يسعد . حول
الجامعة والكمب تعبته في الفساده . ولكن مع كل هذه
الاعتبارات . فتألمها مضرب أمثال . وأبدا مبعث شدة فكرى
أهذى المأمور اندى كان لا يطمئن أبدا الى أحمد سلطان . ولم يفلح
زجره ولا حتى الشجار العنيف في فصل هذه العلاقة .

كان صفوت متكئا على مسند الكعبة يتبادل هو وأحمد سلطان
سبأ ملامحه . سبأ أحمد أخذ أنفاسها وهما حريصان في نفس
الوقت على أن سبأ سبأه بالسحرة . وكأنه لو وهب الطلقة
ذهب المزاج . وكان ثمة حديث يدور . وأهم خبر في ذلك اليوم
كان هو حادث اللقيط . وطبعاً كان الحديث يدور حوله .

والواقع أن ما كان يدور لم يكن حديثاً بالمعنى المقهوم . كان
مستور في سبأ أحمد سلطان بالليل . وكان
. لا أن مره .
كنها . ولكنه كان لا يريد أن يبدو في عين أحمد سلطان كالأطفال
المحب للاستطلاع . كان يريد أن يجعله يعتقد أن أسئلته إنما هي
. ولعل هذا هو السبب في طريقة
. بة حيث كفى كمية محرب ذكى خبير ، ولعله
. السبب في تلك الإيسامة التي قصد منها أن يقول لمحدثه :

.
لم يتعد عمره العام الواحد والذي تعدد صاحبه أن يحيطه بالرعاية
ويسميه لكى يبدو ابن أعوام حتى مداعبة الشارب . كان سبأ .
وكأنه مداعبة كبير لشابه الكبير .

وكان أحمد سلطان يتصت وإيسامة كبيرة لا تقادر ملامحه ،
إيسامة كان صفوت يحس أمامها دائما أنه مهما قال وتحدث عن
مغامراته فهو صغير ، مجرد تلميذ خائب في مدرسة أحمد سلطان
. سبأ أحمد سلطان . مع أنها
فد لا يكون كذلك .

ظل صفوت يتحدث وأحمد سلطان ينصت ، وأخيرا بدا أن
صفوت قد كف عن حراج كل ما في حراجه وأجلس فضل لأحمد
— أبو حميد .. بزمك ابن مين ده ؟

هـ ذهبة أحمد سلطان ، واحد من فين فيه الحساب الي كتب
تسمع في بيت مسيحة أفندي ، وكلما سمعها مسيحة تخرق
والحيران وتصل آذانه ويكذب نحرها ، اشأنت ولوى بوره وأنت
من فيه كلمة سب . ولأمر ما لم يطيش صفوت فقهته سلطان .
وجد به أنه قهقهه بكم هي الأخرى . دأب هذا هو السب في
أنه استطرد قائلا :

— تعرف الك غويط قوي . كده والا لا ؟

وقال أحمد وقد آبت قهقهته الى ابتسام :

— ليه ؟

ومضى صفوت يشرح له لماذا هو حبت وغويط ، وكيف
يستحل لنفسه أن يقوم بمغامرات أخرى لا يعرفها صفوت ولا تفصل
الي علمه ، مع أنهم في الحير والشر سواء .

وحاول أحمد أن يغير الموضوع ويسأل صفوت عن آخر
أحماره مع لنده . وأخبره أن ذلك الموسوع كان هو الموسوع
صفوت نفسه . لا يسأل أحدث عنه . ولا يحلو حسنة مع أحمد
سلطان منه . فعلى أرغم من كل شيء ، على أرغم من نذبه السيد
معبدة في كده ومعمره في المعهرة وعصبه لمدرسة ، وسلافة
الطباري مع بعض ساء التفتش وساءه . فقد كتب لنده يحل من
فيه مكا احنا بختيار فيه بسمرار لم تكن قد فيها كثير ، وكل

ما دار سبها من حدث لم يتعد حبالا نمد على لأصابع بدلاها
حاش سلافة سموت سمين طوبه بين عالمسها ، ولكن كان هناك
شيء يحسه في نفسه يحدها ، ويحسه في بصراتها تحدها ، شيء غير
منصوب لم يرئ ولكنه موجود وواثق . يعده شح حتى يتعدغ
أحسبه الاحمية ويحده كتب شعره يريد أن يركي فعلا أو أن
يصعد أو يهدم سراية التفتش ولكن مسابه . وأحبابا حين يستش
على سره حده بس مسحة أفندي ، ويحد لنده واقفة في الشباك ،
معدة . ساء وحبي دصم تحومه هاه البعده المظلمة ، حين يراها
هكذا بحس سار غريب قد سرى فيه وحده يريد أن يطر ويحس
أنه غيب في كده لا يقبل شأ فيه حده لا أن يحد بصره حسنة بين
الحس . حين يحده بصر باحينه أو على الأرض دحبه سرعة .
وأخيرا في السدفيه في الهواء ، ونصب من كف الى كف مجدولا
أن حاش من حسنة شاره حده . ونصب هي يدها السمي وسعددها
سبب به حديد التفتش من أسى . وكأنه ترد الحجة حينئذ
نصبه . ساء وليس عوال بومه وكل منه سذكر المحطه ، ويعبد
الحركة ببطء أمام عينييه وهو سادر بعيدا عن الدنيا وأهله والتفتش
في غيبوبة متفتية لا يريد أن يصحو منها .

وأحمد سلطان هو ممكن سره ، في حجرة لومه الحاية تقريبا
من الأثاث يترك صفوت نفسه على سجيته ، ويثقل على أحمد
سلطان دقائق ما حدث كلما حدث شيء ، ودائما تختتم الجلسة
بذلك السؤال الحائر : ترى هل تحبه لنده ؟

كلما سأل هذا لأحمد أكد له أنها تحبه ، ولكن تأكيده بس

مهما ، المهم هو اسماها الى يطق بي تأكيد ، او فقط تركه له
مرة بلا ابتسامه لآمن حقيقة بصدق ما يقول .

وكان حريه بصوت أن يستجيب للباب الذي فتحه أحمد
ويحوص معه في سيره لنده ، غير أن هذا لم يكن هدف صفوت في
ذلك اليوم ، كان يريد أن يعرف هو عن معماري حده . أو على
الأقل تلك المعامرة اخى من المحتمل أن تكون قد أدت الى هذا
اللقيط الميت .

وبلدو أن اصبر صغوب قد فعل معه ، فعد سحاريين انك
اعقد من لساني أحمد سلطان ، ومنى يحدته . أو يرحل عن عرف
له . وظل يقول له :

— وعارف مراب الحج بدوى وسه ؟

فقول صفوت : حيه .

فيعود أحمد سلطان يقول :

— وحياتك كانت واحدة منهم في الأودة هنا معايا على السرو
الى ما عروش الرمان ، وثانية مسجحه قوى لتسبح وعرف
السدي الى كات تشعل مع الاقمار التي يقررو انفس البت
الهايشة دي

فيقول صفوت :

— أنهي واحدة .

— البت الطويلة الهايشة دي .

آه ..

— وحيات شرفك هي التي قالت لي بعظمة لسانها خدني .

— وعملتها .

— يعني أكشفها ياني صفوت .

وشيدت حجره أحمد سلطان في تلك ليلة دويان كاد يعف
عها شعر صفوت ، روت حبه يعتقد أنه نكل معامره وما معه
يس سوى قصه من بحر أحمد سلطان . من الأمر لم تقصر على
هذا . ولم تقصر عن قرب أحمد سلطان على نفسه ، تعسده
الاحد وب . ومسي ، كسرة وراءه كسرة . وحقيقة أثر حفيظة
نكت من وجه الآخر جدام لشمس . وجه المستر دائم .
الذي لا يظهر أبدا . ولا يبع عليه أحد . لوجه امعد امشيداك
من ربي . هو تعرف من حب ، غامض بين آباء وساء
بهم . من أحباب ودستين ، ودستين وفاضلين ، وحجاج
و (تلية) ، وحتى الموتى وردت في الحجرة سيرتهم .

وجهه بعد مقدمه بويه سادها صفوت لمداين على حياته ،
على . من يريد أن يعرف عرف انظر عن عالمه الشخصية
منه . من صفوت مع سوع الذي من أحبه جلس مع
حده . شعري كي ثلث هذه الحوية في حب امص . سأل
من ربه حيله كمن مقدس وشرفه أن يقول الحقيقة
سأله عما يعرفه عن الوجه الآخر للنده .

وهذه المرة ، وبوجه جاد ، ودمج لا تحتل الشك ثني أحمد
سلطان أنه يعرف عنها أي شيء يدعو للخل . وعاد صفوت يلح في
سؤاله وعاد أحمد يلح في نفسه وتأكيد .

ومع هذا ، وحين قام صفوت و

وحاشه في الوقت نفسه ألا يكل هي فاعه وهو داهم . ولادعي للتماني .

قالت بعد وقت وبعد أن تأملت بسمة وعلامحه الحلوة :

— بس دى صعبه ما أقدرش عليها ..

— اييه .

قال أحمد هذا وهو يقرصها مرة أخرى في بطنها ، وقومت هي نفسها لمعد نفسها عنه ولترب وجهها منه ويدخل أن شبه ، ولكنها كانت تعرف أن محاورها فاشبه قد صبه على أن بدل شيئاً إلا ناله ، وما يقوله أن هو إلا أمر عليها أن تطيعه

صمتت برهة ثم انفجرت ملامحها قليلاً ، وأبتسمت ورفعت سبابها وأثرت إلى عيناها أسس ثم إلى عيناها أسس وكذا تقول : من عيني دى ومن عيني دى .

وفي ذلك الوقت جاءها من بعد صوب حسن منحوح يؤذن لصلاة العشاء ، صوب أو رغبه . ومع أن حجة كان مبداً عن المصطفى حيث الأدب والاصلاح . إلا أن أصوات هذه الصلوات فأبى فقام في الحذر ، واستدار ، وأراههم يقفون يشتمونها عائده وكان صوب أبي إبراهيم قد دخلها من البيت . فوجد سلطان وقد منى على ماله . يطر إلى عهده وياسو ، عسبه المبعثرة فيها وثمن راحة الارز والسمك وبيض وهي تحبض بروائح المدخن انماسه . ومن مل من المجدد كد . وعلم بلبسده ، حين تأتي ذات مساء إلى بيته ، إلى حجرته المبيده ، خجل خائفة ، وكيف سيؤنس وحشها ، وسيحيل خجلها بقدرته انظاره إلى جراء ودلال واقدام .

طال العشاء على غير العادة ، واستمرت السهرة القصيرة التي نعمة حراً ، فمؤول من الليل ، ومن حيدى فتحه ذكائه مشعلا (كنوة) أى ما بعد عداشه ، وعلى حائط القسطرة الحجرية امتدت جلسة الرجال ، وكان لا حديث إلا عن اللقيط .

ولم تكن العزبة الكبيرة وحدها هي التي شملت بالحديث ، بل أحد أي العرب المحووس . من وفري المخاوره أيضاً ، حملها بها (شملة) من يمشون في شمس ويقطون في سلك امري فاجدث حال واحد في الغمش تمتنى سبعة لا يعكر صفوه الا حده . شت بين اثنين أو سبعة صغره رنكب ، أما أن بعثوا

دب سح على تقيد مشو . فحدث أمر سعه له محاسن ولا سفس ويختلف الناس حوله ولا يتفقوا ، والناس في القسطنطينيون اسلاف . مات سبعة حملوا عليه واشتهروا به . من يقول أن سيبها هو السمك الذي يكاد يكون الطعام الرئيسى لأهل اسفيس ومن المنطقه اشرفه . يعيد او حده منهم حكى الحكاياه وابرار عاسله . ويحد ايرد الحجاج وعسلده . حتى يظفهم بالحروف ، تجده — من كثرة استعمالهم للكلام — واضحاً لا ليس فيه . الحديث لديهم هواية ، بل يكاد يكون هوايتهم الوحيدة . ولهم فيه نواع . من الذين اذا حضروا محبت كد لساهم أدلى لس . وصدرود . نواع كثرون . لأسطى محمد أحدهم ، ومحمد

أبو طلبة ، وسندهم جميعا الشيخ عبد الوارث الكبري ، والشيخ عبد
الوارث لا يحد أحدث فقط ، ولكنه أيضا يحد الفلاحه ، والفلاحه
حرفه ، فيها المهرة والكسالى ، ولا عيب ولا ذكاء ، فيها الذي
يحد نفسه مع رضى الأرض ، وفيها من يروى أرضه فصف لأن
حاره روى ، والشيخ عبد الوارث يكاد يكون أكثر أهل التثني
حدفا للفلاحه ، بل يكاد يكون المستشار إليه في الفلاحه ، فغلب
أحداهم التحيل في أرضه وهو بشرته بدى ليس بالكث أو رفيع
وعندهما الطبقة دائما وبشرته اسراء وسنه مسير لواسين
كاتب كلماته انظمته انظمه فيها ثوب انتمل في كل خلاف
يشأ ، بل كان بأمور لا يس في أمر من الأمور كبرى في العيش
مثل ميعاد ررع الارز أو حرب أرض مسج وسوبه لاستقبال
حيات بلاده ، الا بعد أخذ رأى الشيخ عبد الوارث ، اذ رأى دائما
فوق رأى مستشاريه من الخولة وكبار الفلاحين .

وكان الشيخ عبد الوارث يصدر احاديث مده ذكوان حسدى
ولأول مره كان يبدو عليه أنه رأى . كاتب لأراء كسب ملامح
واحتجب ونظر الحاسون انه يستضعفون ملازمه وسطرون قوه .
كان لا يفعل شيء أكثر من أن يسبح كالحرج ويهوى . انه انسلم
ياحساءة .

وحسب لم يخل بتأؤد معهم . ثم تمت أن سادون وقام مدسب أنه
لم يصل العشاء وعليه أن يصلها قبل أن يدهه النوم
وبقى الجالسون مثلهم مثل الساهرين عند القنطرة ، أو في
السيوب ، كثرين والعراوة دة ثمة تربشون من الحيمة ، والعربة

ج ترك امرأه في أو ستا الا وبوشت سيرتها ، وتأكد الناس من
أنه ليس ساعله له بق الا أن القبط من عربه محاوره أو من
فربه اخرى . ولكن السؤال كان : لماذا سكد أحداهم أو احداهم
نسه . سب مشته سير اسنوس لانه اعبط ، وكان توسعه
أو بوسعه أن يتركه في قلب القبطان ؟

من فقط من بيوت التثني لم يناقش فيهما أمر اللقيط
وكان سيرته . بيت فكري أفندى الأمور الذي سألته زوجته
ابن . من مة حين فاكف أن سجد روح عصب نعرفها
أمر وعرف أنه لا حولها لا حين يود فصل باب
. فكري أفندى فعل دة الحدث فعسى هذا
. بل فيه رجل له دروح مرأة شاكاه
. واحدة مدسه . واحده حنوه تحب لاطخ
. حريت دة حدم حريت الكذل بعد باب الملل
والحافل بالشرور والآثام .

دنه مدك . يحد عرج ساع كلة دعب روحه برأوه
سب مسيحة أفندى أو جاءت غيفة وأولادها لزيارتهم ، في عرفه
. تلك الزيارات هي الأخرى بدعة لا تجوز ، والروجة شيء خاص
. أن يطلع عليه أحد ، ولا حتى نساء غيره . الحديث عن
. لا حست لا يجوز الجول فيه ، ودهو
شيء يمت الى العالم البغيض العاجز . . . عالم ما وراء الباب .

أما في بيت مسيحة أفندى فلم يجسر أحد على فتح باب
موسوع لا يدرى

لا يزال المعص راضيا في بطحا ، في امسه ، فقط وحيى آوى مسيحه
أفندي وعقصة الى فراشه ، وراحب هي في النوم العسى . من
هو بعدها يتألمها في رقدتها ، فرقتها ارضه الطوبه الى كثيرا
ما تنف حولها مديلا ، وشعرها الأكرت الأسود استصر امدى
أورثته لأولادها ، من مسيحه يتألمها برهة ، يكاد مكرها مكرهه
لستيفظ وشاركه حيرته ، غير أنه لم يفعل . ولموضوع لندى
يشغل باله لم يكن يستطيع أن يصرح به لأحد . حتى لو كان هذا
الأحد زوجته عقيمة . وكيف يصرح لها ، هو احد اعزته الى
تخطر في باله وتلج عليه .

كان شكه في مرض سده قد اردد الى درجه من ينكرها أن
تأخذها الى الطبيب في المركز ثابى يوم لكشف عيب . لا امرى ان
كانت مريضة جميعه ولكن امرى أبعد كنه من اجلها . سب
تعدت من الرواح وهي خلوه ومودوره الصبحه وبعد في فراغ
كبير ، ومن الجائز جدا أن يكون الشيطان قد أغواها .

كان قلب مسيحه يهبط كلما وصل الى هذا الحد من تفكيره ،
كان يحس به حذسه يهبط وكأنه يسبح من عل . ولكن يوحى
لا ترجمه ، تمضى تصور له ما يمكن أن يحدث لا قدر الله .
المسيحه وحيدة الأرمن ، واحيده اعطى ، من احد حسد أن
يزوجها ابن المأمور ، لألف سب وسبب ، تراه ماذا يصنع حينئذ ،
وبأى وجه يراها في سفسش . ودنى نورده راحه ناس

وتستبد به الخواطر ، عسده ورجسه سبب منه . سبب شبه
وتجمعه بحسب الثمرش ، طرد يحض الى نفسه امسيرة في ساح

عده . محبوه بالدموع المحسنة في حلقه . اننى لا نريد أن ترجمه
هي الأخرى وتسيل من عينه

ويتنا هو في خضم ذلك الكابوس الرهيب ، عن له سؤال :
من من انك أن يكون محبصا في مدا لو ثبت أن اللبظ مثلا
من واحد من امر بون . لا بعد تفكيره على هذا المصو وانها
لابته وطلعه شرفها ضرب من الجون والعتة ؟

سبحه أفندي بالخاطر وكان فيه اكسير نجاته . وانفدع
سبحته الى وجوهه وسبله وكأنا فعل هه . سببه يعود الى مكره
من صدره . ان حركه من وسايه من راحه وحيدته . وبدت
تأويبات النوم تأخذ طريقها الى نفسه .

في احد سح كان نورده فعله حين فصح في حجره مكنه أن
سبح من الممر فمد يده الى مكنه . ذو الباب انجرحه فبعد
ودى . بعد ساد احسبه من فيه ذكرى قصدي المأمور طوبان
يذكرك هدفه الخيث من تلك الزيارة الصباحية ، فزيارات
الى . كنه فله وساده . ودنى وراء كن راحه هه
و يرب سب . سبب حسب عه أن لدى حير فكرى أفندي أن
مسيحه لم يقل في زيارته الشيء الكثير ، ظل جالسا مدة يتحدث
في راحة . سبب ثم سبب سؤالا سبب سبب في حكيه المعبد
أجابه فكرى أفندي عليه بحسن نية ، ولكن ما أدهشه أن مسيحه
بدأ يطن في الفراءه فجأة وبشدة ، ويصر ويكاد يقسم على أن
الفاعلة لابد واحدة منهن . ثم ما لبث أن استأذن محتجا بالعمل ،
وترك فكرى أفندي حائرا في تفسير هذا التحيز المفاجئ منه ضد

— الله يقل مقامك يا ابن زينه . ايه ياواد الكلام الفارغ ده .
وكاد محبوب يتهاوى من طوله المتواضع القصير فقد أس أنه
كان في شكوكه على حق . ومال على الشبح سى ولس يده ولس
بدموعه صبا منه أن تصعب فيه مع وفا وصراته . حب وبه
عليه الشيخ . فاذا به من زوجته زكية ، واذا به خطاب غرام منها ،
واذا بها لم تكتف بهذا ، بل أرادت أيضا استغفاله ، وأن يحسن له
هو حظاها الى عشيقها فيما يحمل من يريد مستغلة الفاء . حينه
بالقراءة والكتابة .

سواء اعرفه اسي اسعديا محبوب في سرد حكاية كان فكرى
أفندى بكاد يهوى من ضحك . أنه كان حتى بعد أن محبوب
لاخفاء ضحكه بل كثر من هد كنه . أني محبوب منعدا . و
دامته الرغبة في الضحك .

وحين اسقى محبوب وصاد بحرم في مكانه وشبهه ، لم يمد
فكرى أفندى يسات نفسه . بقدر في بوبه ضحك سادة . و
حرمه واستدعى مسحة أفندى وأحمد مسند وكبر نحوه لى
بصادف وجوده في حكب . وبولى سادة من محبوب . قتل الحانة
وبو واهم سادة عه نضجك . ومحبوب سدر في اعده . بكاه
وقال له فكرى أفندى وهو يسمح للصومع عن عينه
الصاحكتين .

— ومارحش ضربتها ليه يا محبوب .

— أضرب مين يا حضرة الأمور .. أنا قدھا .

قال محبوب هذا وانخرط في البكاء . وانخرط المتجهرون

حواله في الصحت . فهم يعرفون ركه بطولها وصحاحها وجبروتها .
وأمامهم محبوب بقصره ونحافته وصوته القصير النحيق .

وحين شبعوا ضحكا . هههه الأمور على محبوب واعدا اياه
أنه سؤدها له . بل أرسل في طلبها فعلا ، وقال لمحبوب وكأنه
يتدرك :

— والله تحب تطلقها يا محبوب .

فقرت من عينه دمعان أخيرتان وقال :

بلى شمره حضرت دي ودينى وما أعبد فاجرة وعلى
بمس باطاني أن ما كان الى يقبوه لصح ده اسها . أصلها عايره
تخلف وفاكرانى ميخلص . ودينى فاجرة .

ووجد الأمور في اجنحه بضحة مباحها عدم الرعية ، فعاد يؤكد
أنه سخصص المعربة كنها لركيه ، وسيره فيب نجوم الطهر .

وساء أن نجوم الظهر في ذات الوقت كانت هي ما تشعل نال
دمع . كان حملا سب استياف في تيريه لبحث عن أكلة سبك
من أخيه ، ولكنه حين وصل القنطرة الحجرية ، توقف في وسطها
بعد أن سمع أي شخص إلى الوسط سماء . ولس في بعده
أن سمع نفسى لا يدع من سوءها الماهر صعدون عيوبهم
أنه فسادت له أعماقه ، فدره على اصبع
بلى فسادت له أعماقه ، فدره على اصبع

فقد كان في أسره هي سب في أن بعض أطفال للاحين
سدر سرحون على دميان في وقفته تش . سب خو أنه دن

يسلم على السماء ثم يردد كم حسنه اثنى . ويحب عليه نصايح
يده اليمنى ، ويقول لنفسه : منصوره .. انشا الله منصوره ..

أما من هي المنصورة ، ولماذا وكيف تنصر ، فذلك أمر لم يكن
دميان يقوله ، حتى لو كان الناس قد سألوه عنه .

وبعد ، ما نورفع ساما عن سرعة . والرافع في دمه يكونه
الصغيرة المسه على عربة كان يستقيم . شاهد في يدور فوق
لفظه . المعز به يومه . وشهد . في مفرقه مستحب .

ولكن انوف له بكر وفاء كان وقعه . كان سب له محبوب
روحه الامور سيده في رافعي من عزم بقية مساهله ساهي

واردوس . رتبي رغم مكانه روحها نفس المنصره ذمه على
بريده ساهب من نساء الفلاحين ، ونقى الثوب الشجر الواسع

المصنوع كان أمر دماي يحرم من ربي . حتى يهابت حنت
عصفه روحه أخيه سه مره . وزاغت من الاجابة . واليوم ، لأمر ما ،

رسا لهذا العطل الكنه الذي دار حول سنه . حرم . يوم يصبح
وما لا يصبح قد صبح حب استطاعها شدة . هي حسنه ساهي

ليل نهار لا ترور ولا تزار الا في النادر ، زيارات تنقص عليها
عيشه . ودراب مكنفه عليها . ن يحرم روحه المبرس .

وبسعي مامين أرمي دماي . ن كسب دماي . فصح
وحسن وسفره بسبب . وبسعي من فكرى . دماي . حرم . دا

حدث ، فكرى . دماي . علي . رغم من منى . كبر من شرس
عام على زواجهما لا تجرؤ على مناداته بغير يافكرى أفدى ،

ثم ما كبر في لحساب لتجلى لا تزيد عن قولها : يا أبو صفوت .

أحدا . نحن الى مقولتي الأولى في سب أنها علاج ، أحبابا تمنى
لو كان في سببها أن نعلن مثلاً نعلن نساء الفلاحين ونسبح
في سببها مثلاً . أو نعلن مقصدا العيش وتخرج رغب مستديرا
تام الاستدارة كما كانت تفعل في بيت آيها .

فكرى أفدى من بحرى . وهي سبعة رأس روحها حين كان
يرو . دماي . محضهم . وه . فطسه . وفي يوم وعده لب . روحها ،

ومد . روحها . وسبب . ندد . نون منصوره . فطيه . حتى . حوها
حين يأتي لزيارتهم في السبب بلاسته الصعيدية وقطائنه وحدائه

دي . وه . سبب . دماي . فكرى . دماي . أمر . راته . وذا
سبب . من دماي . دماي . من دماي . من دماي . دماي . دماي .

وثة . دماي . من دماي . دماي . ولكن ذلك لودع . وهواف كانت
دماي . دماي . دماي . دماي . دماي . دماي . دماي .

دماي . دماي . دماي . دماي . دماي . دماي . دماي . دماي .

دماي . دماي . دماي . دماي . دماي . دماي . دماي . دماي .

دماي . دماي . دماي . دماي . دماي . دماي . دماي . دماي .

دماي . دماي . دماي . دماي . دماي . دماي . دماي . دماي .

دماي . دماي . دماي . دماي . دماي . دماي . دماي . دماي .

دماي . دماي . دماي . دماي . دماي . دماي . دماي . دماي .

ولم تستدعي المسألة أن يتنظر فكرى أفندى الأمور تسعة

شهور كما فعل سيدنا عمر ، إذ بعد أول من شربه أيام كان قد ستر
على الحديده ولم يعثر عليها هكذا ، بل ، فليطبخه فصل
كثير في اكتشفها . كذب لطعم لدوده رغم كل مجهودات فكرى
أفندى قد ازدادت بشكل يدرى ، وتصبح يهدد بالنقص
ومن ثم تكسح أرض الفطن كلها ، وواقع أنه من بين تسعة
آلاف نسبه لديه يحول على خمس الفطن كان فكرى أفندى
هو الوحيد الذى بهه أمر لدوده وقاوتها . فمرايعون الفلاحون
لا يهمهم الفطن في فصل أو كثير . الفطن وإن كانوا يرعون
وحرثونه وبحسب عليهم مقاريف حسنه وسوءه وحتى نظير
المصارف حوله ، إلا أنه محصور صاحب الأرض ولا شيء غير
هذا فإصلاح بأحد حسنه الثلاث من محصول الأرض إلى رعيها
وكل اثنتي عشر هباء . ذهب في تسديد مقاريف الفطن
ومصاريف تحصيل الأخرى وسببه إلى في تسديد الفطن في
نصر عدم أفندى في سائر فكرى الأرض . وحتى في
إصلاح شيء بعد عداسته حسنه في عام ساد . فكيف يعمه
أمر الفطن إذن ، إذ أنه هو الذى يخدمه هو من سببه أن يعمله
والسببه في أنه مدبر ، الفطن عام هو بعد محصول رئيسى
اللدوده وإلا فكله لدوده تسبب على خواجة صاحب الأرض

آلاف الحديده . من صاع فكرى أفندى نفسه ، والسبب الرئيسى
لرعيه من فطن الذى كان يعمل به فطن غمه هذا كان هو
الدوده حين فطن به والذهب ثورق الفطن وأصابع المحصول
وأما فكرى أفندى لا يهدف من شيء في الوجود قدر خوفه من
أشئ لدوده وصاحب الأرض . ولا يساور هذا الخوف ويصبح
هيبا إلا في موسم مقدمه لدوده وهى لا يزال الفطن هو موسم
الأمجاد . فطوب فكرى أفندى وأغصابه وغصلاته ومستقبله وكل
شيء به . وبين تسديد الماشيك ومكثه وحلقات الفطن الذى
يكسبه نفسه وخضه فطن الفطن . ويكتب آخره مهيب بالحسن
والخير ويعلم بحسبه الفطن . وبين عدم ماله الفلاحين ، ولكافة
الأمر . والسبب فى الفطن فكرى أفندى وهو يصحو من الفطن
وعود من الفطن بعد أن الفطن . ويدعو الله دوا أن يسرها
معه وأخوف ما يراه أن هذا لدوده مره ففطن الفطن وسكون
الاشياء . ففطن فى سببه من الفطن الذى فطن الفطن
على سببه فكرى أفندى كعدم رعايته من ما يمر أفندى
و . ففطن لدوا من الفطن لا يستطيعون معادته إلا إذا
وجدوا فى سببه الفطن . وفى هذا حين فطن الواحد منهم
فطن . ففطن الأرض حتى فطن عداسته في سبب الفطن الذى
فطن . ففطن على فطن فى فطن . ففطن كنهه ففطن معادته
وأصطافه باحثا عن عمل ولو لينقل إليه عائلته ويسكن . والمصيبة
ففطن فى سببه الفطن الجديد يعقها وصغارها ففطن أن
يجد الموظف المرفود عملا وعن ثم محظوظة

من أجل هذا غرّب فكرى أفندى من الدودة أشد غراره من
دعه من الموب ، وجرّسه سى أن يحشى بالحق الكرى به حتى
اعتقاده بوجوه راحته فوية سى تى ثم قد يركبه وين سبب
السوداء اراحمة الى طلبه انه سبه فى كى سبه مره . لئلا بها ،
ويعاقب العقاب الأكبر اذا أخطأ ، وتنجب ملايين الملايين من
الشياطين الى أوكارها اذا ثبتت نفاقته وبرأته .

كان لفرط حرصه ، يخرج قبل شروق الشمس ويجوب أرض
لحقل كنها مشحوما بأهله حائلا لا قدره أن يسبب حوائطه به
الدودة ، فالضغ لا راحة له ، أما ، دعه ، لا يعود منه من راحتها
حين يطل عليه اذا صفها آتته ، راحة غريبه سى احش وسى
القطر وعنى اصبح مكره ، مائى اذ من من حوائط صغره
منوحشه بلنهم فى طريقها كل أحضر ويابس . كأنها رائحة القبر ..
رائحة الموب حين يسهم راحته وسرهم راحة من راحته
الحى وهو ببوب ، والموب راسود اراحته وهو بعش سى
لاحضر احى . كان فكرى أفندى يشمر لحد سيرة ، مجرد
ومعه الحسرة وآه وشبهه بجو حه صاحب الأرض من الجوحة
وشبه امى لا يصبر فكرى أفندى شىء ، قد سربه حين
يعلم أنه فادم . حى وهو يعذر اذوامر لئلا فقه واسانه س
ما تمام اسرايه والظريق وكسه تخرج أوامره راحته بفض
اضطرايه . ويقولون ان التفتيش كان فى أول أمره ملكا لاحدى
البرنيسيات ، ثم باعته الأميرة للجو حة زعيب الكي . وسحب
الأص الحالى به ، فكره حسم فسن دوشعر كشيء أسمر ظهر

من صدره وسوايده حى رندى القمص والبطون والريضة
الصباء المصونة من الخل ونجح بمرور طوال لمرور لا يشم
وانما برفه قوى الحصاب يندى لا يركه أحد سواء ، يرغد فوقه
كتمش رشم وفكرى أفندى الذى يندو على اركوة بجواره
كالنرد معجور . موب اوص عيو به معلقة بملاحج الجوحة ولسانه
رائح عدد سحبت ويحول اسدكه . ويدد تشير وتلفت البطر الى
مضروبه فصر حديثا ويعق أو سى مشاية شأها هو بحدق
ومره ، يده شر ونصب وتندارى لعب أعبا اذا كان هسالك
شبه . ولا يد أن يكون هسالك عيب . يدغو فكرى أفندى الله
وملائكته ورسمه لا تقع منه سى الجو حة ، ولكن عيه دائب تقع
عليه وكأنا حش لا رضى الا لعب والاصححة أنه لا بكنم حين
يراه انه كعلم . ولكنه سكب . وما أشجع سكونه فى ذلك
اللحظات .

كان متزوجا من فرنسية ، فادرا ما كانت تأتى معه فيحاول
فكرى أفندى أن يهوى سبب صغره من اتوب الاحمر اندى راحة
عنه سى ش حه شهاده . حى وجهه ولو نلت اسمه الى
لا . سى لا يحدث سى جو حة لأبها . وكذا يقولون
أن الجو حة له عشيقه غيرها ، وانه لا يخلع ، وانه لولا دينه
لا . سى سبب ريد احبف وبدا يرث هذا المثل كنه
ويقولون . وفكرى أفندى هو القائل — أن له فى سرايته المظلة
على البحر فى سيدة بشر بالاسكندرية ، حجرة سفرة من الذهب
الخالص ، كراسيا مطعمة بالذهب وأطرافها ملاحمها و

ادن عبثا ، ولا راح هاء ذلك الارهاق الطويل الذى لا يقاوم من
المروء بلا ركوبة سيرا على الأقدام ،
ودون أن يسأل عرفة أو بكلمة ، ما كد يرى انطله حتى أسرع
تجاهها ليضبط المتظللين في حالة تلبس .

كانت لطليلة مصوغة من حول قدمي مربوط من حنائه الأربع
في أربعة أعواد من السيل . وحيث فرق فكرى أفندى الشجرات
وأهل فوجى . حين أم يجد أنهارا كثيرين حب الضيلة في الحضيض
لم يجد إلا نورا واحدا أو سى وجه أصبح بفره واحده . امره
كانت راقدة على جيبها كالنائمة .
واما حب حبه أمل فكرى أفندى الى شراسة ، وقال لعرفه
وعيونته تنفذ بالشر :

— ايه دى . ندية هنا ليه . مش ماسكه خط ليه .

فقال عرفه وهو يتشمم ابتسامه ضايق المأمور أكثر :

دى مراره باسعاد ليه

وبس لشراسه وان فكرى أفندى

— عزيزه ايه ؟ عزيزه مين ؟

ومره أخرى فان عرفه وهو يحتمس احبه من اسماحه ورفع

الأخرى :

— عزيزه اسم الله على مقامك يا مساعدة اليه .

١٣

وكانما دق جرس صدى دقة واحدة باهته في عقل فكرى
أفندى . أمكن أن تكون هي الاثمة التى بحث عنها حتى بس
وصف يد من بحث / احضر صمغ وواه ونكر أوهى منه هو
ذلك الخط الممتد من ابتسامه الرئيس . فلو سألته مباشرة فمن
المحسن أن يعاف ويحزن كما تحزن الصبي اذا رأى حفره في
الخرس . وهو أمم الساس هؤلاء الساس حين يحدون اشئ .
ويحذون أصواته . فله أن يسعي بالمرور والى وادته لجهل
سببه يلج في خرج كل ما وراءه . فم ارسى المسموم لميسم هدى
وقال فكرى أفندى بنفس لهجة المأمور في حضرة الخط :

— محبوبة دى من ضمن الأنفار ؟

وخاف الرئيس أن يكذب فيعاقب على كذبه أضعاف معاقبته
على مخالطته فقال :

— محبوبة يا مساعدة ليه . وأنا محسوبك .

— وازاى تبقى محبوبة نفر وهى نايبة ؟

قال الرئيس بمسكة .

— غلانه عيانه مش قادره تمسك الخط يا مساعدة اليه المأمور .

ورد فكرى أفندى بعنف :

— ما تحسبش يوسف

قال الرئيس وأمره الى الله :

مشكلة المرأة بدأت مسجور عليه بطريقة أخرى - لماذا نضل أمراه
متزوجة مثل تلك الملتفة في خرقها السوداء ابنها ؟
الريس لا يبدو عليه أنه يعرف نسأ ونحبه . و لحقيقه لا يدرك
أن يعرفها الا الله سبحانه وتعالى وعزیزة -
قل فكرى أفندى للريس :
— سألوها عملت كده ليه ؟
قال الريس :

وانه ما عرفنا نطلع منها حاجة - وأهى من سعادتك كذب
وسمع أن يقول الريس هذا ، كان في نية فكرى أفندى الا كده
أن يجرؤ الى الظليلة ويتحص هذه المرأة الذئبة . كانت راقدة
في بطن فسه صغيرة من القنوات التي تروى منها الترابيع ، راقدة
على جنبها وقد صب ركبته الى بطنها وأمسكت رأسها بكوعها
مسكورة على جنبها كالحيث في بطن أمه - ولم يكن يبدو عليها أنها
تجفف فيلا أو كنه عن شيء لساء في حش حرجة ، أذ كان
ويصيح أنها سمراء عذبة سمراء ، فبحسب محرمقة الجلد -
حرفه الشمس الكويه اى حسب جنبه أشبهه به - سمه
لا حجاب أو حجاب عذ أن فكرى أفندى لم يقه ان يمسك
ثنية ركبته فحده من شها مسجور في الشرف من موضع
يعبر أحدا بعدد - كذا و كذا - حتى رسبه على الأرض من
ثقب السقف .

جلس فيها فكرى أفندى طويلا معتقدا أنها لا بد حين تشعر
بوجوده فوق رأسها سوف تجلس مثلاً أو تعتدل ، ولكن حين



١٠٨ م يحدث ، بقيت نائمة لا يتحرك لها طرف أو جفن ، وحيث
قال لها فكري أفندي :

- اتعدلي يابت .

قل لها هذا وهو يلكرها لكزة هيئة بيوز هذا

وهم ترد أو بعدل . فقد حولت به عنها حتى واجهته
وليها لم تفعل . كان وجهها محبب شديد لأحضان حتى استجاب
لونه لى سواد . وكان في عينيها كل دم . ثم حسنت لا يحول به
وبن أن يسبل إلا سائر لأمع . فبقي . وكنت أسببها تصبغت
وحسنت كنه يربعت أربعش كند العن لا بلحظه
وتمركت صمته عربيه وسمع فكري أفندي شهر يده معطى
بالشعر وأمرى على حسنها . وسحبها في الحان . وكانت تحسب لنفسه
وهو يقول :

- دى عندها حمى ياوله .

فأجاب الرئيس :

فى لها نومس . عليه .. رى ما سعادتك شايف .

- شايف ايه .. دى تموت كده .

ووجد الرئيس أن الوقت قد حان ، فما لبث أن أضاف :

- وعلى العموم إذا كنت سعادتك عايز تختم يوميتها والله

اللى تشوفه

وكان انقوب مسوس فعلا ، فقد هر فكري أفندي
هرا ب كثيره داب ليسى ودت أسره هو يردد لا حول ولا ف

الا بالله . وكان معنى هذا أنه على الأقل قد قبل أن يتغاضى عن
رقدة عزرة ، وأن يحتسب يوميتها .

طل فكري أفندي واقفا في مكانه ملويلا كس لا يدري ماذا
يفعل ، سطر لى المرأة المتكورة في سوادها على الأرض الحشة
داب انصب وعلاقل ، وبعود ينظر الى الأنهار ، ثم يهيم في
مكون الغيط المضيء المقيت .

، فداة . صرخت المرأة الراقدة كما يصغر القطار على حين بقاءة
ومد يده في وحشة وفسع غودين من أعود النيل ثم انهالت
عليها عضا بأسنانها وقرضا وهي تقول مولولة :

- جدر البطاطا كان السبب يا ضنايا .

وزاح فكري أفندي في الجراء مذعورا ، وبعد ما انعط
الرئيس أنفاسه قال للأمرور :

- أسبها لا مؤاحده بحرف يا سعادة اسبه . الحمى ملهبة
دوخها . حد من ده كبير . صول الليل والنهار على كده .. دى
مقول كلام . بابها شارب كثير لويه دى . ربما يكون في عونها .



حتى وهى فى تمام صحتها لم تكن عزيزة بارعة الجمال ولم
 تلبس حبله . كانت طويلة رفيعة ذات آف ظفر رفيع ورفعه
 سوداء تمصّب رأسها على الدوام ، ووجه أصفر وعينين واسعتين
 أى احدهما صفراء من رمد فدية . ولكنها لم تكن هكذا
 بل انه عمرها . كانت ذات يوم بك خلوة ذات همد وشعر وهدوء
 صنع الكحل وتططق بالثشب اذا سارت وحده شمل كانت
 هكذا الى أن روجها الى عبد الله . وانصرفت له سبعة حبه وخرج
 ودخله وقوط وماء ساخن حسه لها ثم عبد الله فى العساحية ،
 صبا حبة لم يسمر الا صباحا واحدا . والعساخ ابدي منه كانت
 فى العبط . لم يكن لزوجها أرض بردها وحتى لم يكن له أرض
 يسأجرها ، كان يعمل باليومه ، يومه ، وعشره مايش . وعياده
 كله على موسم الرحيلة حين يقص من احراج عبد الرحيم لؤلؤ
 ونخسه عربات البعل الى بناتش كثره من بناتش مصر فى بنفيليه
 والشرقية وحتى الى اليوم وبى سوف كانت تحمله العرب
 غير أنه من يوم أن تزوج عريرة لم تعد العربات تحمله وحده .
 انسحب نفس معه عريرة . وبذل اليوم الواحد أصبح تسقى
 يوميتين . وسنتين طويلة حافلة قضائها هو وعريرة فى العريرة
 وبلاذ لباس رأى فيها الكثير ، وجميع التلبيل ، ولكنها عاشت
 وخلفا عبد الله الصغير وناحية وريسة . عاشت ، يسمان العصبية من

الحاج عبد الرحيم فى موسم القطن ويعيشون جميعا عليها بقية العام.
 يعيشون نصبا ومعدنه وينجسه أحياء والعش الحاف والملح فى
 أحبان وكثير يعيشون واسلام . أى أن حدث ما كان لا بد أن
 يحدث . مرض الروح . بدأ الأمر بحصص فى الحنائب اشمل ثم
 انشغل فى البين ثم سرى فى ابطن كنه ثم بدأ البطن منه يسفخ
 بالماء . وقالوا لعبد الله اكو بالنار فكوى بالنار ، وقالوا له
 بله . وسحب دهنه من حبه وافر المستشفى فى
 المراكز فى ديرة ودرع سبها . رأى فى جسده وتجمعه
 قوى . وتجمعه بهج . ثم يرشون على وجهه ماء . ويوم فيه
 وبعده من . ولكن يوم كى يذهب الى مستشفى لا بد أن يتساقط
 من الحجرة . كان هناك فى الساعة . لا صاع دوره . وهو فى
 حصر . فى حصر فى ديرة حصر من حصر بديانة مستندا
 اليها ، أو ماشيا عشر خطوات ومستريعا عشرة .

ومع ذلك انه بعد من عند يد يدى وكان جسده يسور
 بغير ربح ولا فو فى زرين تسبح أن يسعه أو توقفه . حتى
 فعمده داء منه . ورافع أن داء به يكن هو احدى فعمده . اخرج
 عبد الله هو . ثم ربه حيا ومزده من قوى عريرة البعل . وم
 سح . ورسب أو سحبت منه . دماذا يعمل به ولوسية
 ياك كيد لن تقبل أن تحتسبه تقرا . وبك غريزة وبك هى الأخرى
 من عريرة . وقال لها لاس : روحى تب . ذب ، وفالت بموينا
 اسة دى يمكن السة العاية تطلع سوا . وغضب عبد الله وقال لها:
 روحى تب ، ولكنها أبت وقالت : وأسيك على مين .

وطلب عزيرة بحوارد - بحير لحيان أحيانا - وتهم روث الهائم
وسعه وتشرح ناحط لى امركر وعمود بقرش "و نرشين" وفى
كل أسبوع أو عشره أيام تحطى سومة ، وعبد الله رقد فى حجر
دارهم الواسعة ، بطيه عال - وصوته واهل - ويده المعروفة البصر ،
تربت على عبد الله الصغير فى ناحية وعلى ناهية وأختها فى الناحية
الأخرى ، ويحس أنه فعلا مريض وأنه عجز وأنه بولا مزيرة لمبوا
حوقا . ومع هذا لا يظن أنه صبره فنى وتنتص يده ونظر لى
السقف المذهب المذهب بعض قد كبرها ابدء ووسعها وجعلها
تبرزان وتلمعان لمعان غريبا ، ويقول :

— كده يارب .. يرضيك مراتى توكلنا ..

كان يستكثر هذا على نفسه ، بل عزيرة هى الأخرى كانت
تتألم وهى تراه وهذا أصغر مستوح عجز ، ولكن الرمن - الرمن
القوى القادر مالمش أن تكمل نكل شىء ، فهم بعد عبد الله يستكثر
هذا على نفسه ولا على مزيرة ، ومع تعد مزيرة نظر الى مرض
عبد الله على أنه أمر عجز أو شارب - أصبح كل شىء ضمي ، هى
تخرج فى انفساح ولا تعود الا بشىء ، وهو يحرس الدار الى
لاشىء فيها ، ويرعى الأولاد ، ويحير الفرصة للحرج الماء الذى
تجرمه عنه مزيرة حين تكون موجوده ، فقد قالوا لها ان علاجه
فى منع الماء عنه .

أصبح لأمر طبيعيا الى الدرجة التى قال لها عبد الله داب بوا
بدلع المريض ، حين يده المرحس ويجعله عصيا كالأنثى ، كث
المطاط كالبولد المدلل ، قال لها : بعضى فى البطاسة ناعزيرة .

وحلبات المرحس معدة ومندسة ، وكان همه يرون فيها الشفاء
أو وداع الدنيا .

وقالت له عزيرة : يا حبيبى .. من عيني دى ومن عيني دى .
ولم يكن فى لبد بصلته ، كذب هناك درعة بظانله فى فدان
قمرى وكبها حست من من وبع وأرضها تها بالأدرة . ولكن
طلب سيد من سرير وعنده أن تحول - وهى تعرف أن أهل البلد
— بعد ما جمعت البطاطله — قد أشبعوا أرضها حفرا وبعثت بحثا
عن حذر بلاءه يكون هذا أحضانه وأس حاميها وأن م بعد فى فدان
قمرى نى أهل فى اغوار سى غنمه أصبح ، ولكن طلب عبد الله
عزير وغالى وعليها أن تفعل المسجل .

وحلب عزيرة فنى عبد الله الى صيدل من فلة ما تستعمل ،
ودهب الى فدان قمرى وقصبت أقل الأمكنة حفرا وأحدث تعمل
وحترت الى عين من ولم بعد ، واستند الى مكان آخر أعلم به
الشئ ، وأصل لم تحدد كذب تحدد كل شىء . جدور الررع المقتبم
وشدقه وملا وأحدا دفن حديد ولكها لا يجد أيدا جدور بطامة .
ونس هى نعم وتناث وقد شرب ثوبها الأسود وربطه حول
وسطها كما يفعل برجان . رأب حبالا ثم سمعت صوتا يقول :

بعملى ايه يابى .

وحسب من أن ترفع رأسها كذب قد عرفت أن صاحب الصوت
هو محمد ابن قمرى .

ورفعت عزيرة رأسها وعدلت ظهرها ومسحت عرقها وقالت له
الحكاية . ورجه أن يسمح لها بمعدودة البحث - وقد محمد كلاما

١٠١ من البحر وكيف يضعف الأرض ويغني طبعها ويسود
منها عادت ترجوه وتلحف في الرجاء حتى يكت
منه على محمد فم من على معدود الحفر فقطع
١٠٢ ان شهما فقال لها : طيب عنك اتنى .

وامام جلبابه واخذ منها الفأس وتلفت حوله بمن خيرة ثم
سار في راح يهاش فاش منه . وعريرة قد جلس
منه ترقبه . وتشارن بين حفراها وحفره ، والفأس في يدها هي ،
منه نمل ، واشش في يده هو . هو على نملها . هو
منها هو الرجل هو رجل الذي ذكرها بعد انه حين
منه . ويصبح له باب اعصاب ان يدي من سانه ونكه
منه اعصاب الاخرى في نظر درسه . يكت . ليس عت امعب
ولكنه لهث الرجل حين يعمل ، لهث منتظم قوى وقور .

كان محمد ابن قمرين في العشرين ، وكانوا يتكلمون عن
رواحه من امة وابيه له . وكان معه فدا شرابه حتى
ثم يكن يسور عن سب اسمه ولكنه كان من عطف اى النبي
ومن الست اى اعط لا يعرف فهو ولا عرود ولا نى كده فار
منها يعرفه شدة الغيرة وسبها . حمدا به دن انه سامها رفق .
حيده الله انه لم يسمها ، وكثر حيرة انه يتنوع ان بحث لها
جذر البطاطة .

حط محمد حطتين متواليتين ثم قال لها . وهو ينسم وصوه
نصحاك ، وربما لأول مرة كانت ترمه ينسم أو يصحك : حذني
ياستى .

وتاولها جذو بطاطه صغيرا فوحت به كاللقية ، وكذت نهم
بالوفوف والدهاب حريا الى عبد الله لما حسب عليه ولكنه قال
لها اسى . وبعد حبس قلبه اخرى دولها حة بطاطه ذهب
لصاحب . فلم تكن حذرا . كانت حة حقيقيه في حجم فيضة
ابيد أو نريد

نصف غرة البطاطة في طرف شالها ولسانها يردد كل ما تعرفه
من كلمات شكر وتعبير به ودعواه . توجه بها الى السماء تطلب
له طول عبر وحاح مصاد . وسدرت ملهوه فرحانه لكي
تأخذ حريتها الى الله . واشش كسب قد أو شك على اعروب
والدبر لمب ولى ان يصل الى الله يكون اسمه قد حل .
ولكنه في أعين وفرحها به نفس ي الحفرة لى كانت
وراءه وعلى هذا وقد فوجئ بنفسها بسنط مرد و حده بصمها
في الحفرة ونصفها على الأرض .

واوقع انها لم يسي ساما حدث بعد هذا الأمور حدثت
بصيرفة أسرع من بذكرها أو تلاوها ما كاد يتحول أن
تقوم حتى كسب محمد انى حورده في الحفرة يساعدها . مره
واحدة وحذت نفسها في حصة وقد أصعب عليها بذراعه لرفعها
وهي وان كسب قد ارتعشت حين أحسب نفسها في حصى رجل
غريب . إلا أن الرجل لعرب لم يكن سوى محمد لكثير الذي
لا يسرب ايه الشك . ولكن الشك بدأ تسرب فعلا ايها حين لم
يرفعها محمد ولم يدعها ترفع نفسها وما كاد اشك يسرب ليها
حتى كان قد أصبح حقيقه روع أولا فكتب استعجب نفسها

ودفعته ، وناصلت ولكنها كانت ترى أن ناصها لأفئدة منه . بل
ليس بشيء على وجه الدعوة سر هذا الانهيار الذي أتى بها حين
أصبح في حصه تريد أن تقاوم ولا تطيع نيت ولكنها
بأنه تصرح فيجمع الناس ويصبح فمسحة ومضعة في الأفواه ؟
سكنت ؟ تعصه ؟ حتى ملاسها التي لا تحكم على غيرها مرقها
كل ما حدث بها طلب تثن مذهوبة مرسوة حتى فده . وثنته .
ولكن ماد بعيد لثائم لم يقل هو حرف . فقط . من نظرها
وهناك البصير حال تماما وانها لم والناس بروح من بعد . وع
الها . وهذه المرة كان يمكن أن تقوم وتجرى وتصره . غاش .
اضطرب . ولكنها لم تفعل . وحبس من بين الطوفان الذي
لا يغلي نفسه من مسئولية ظلمه .

وفرح عبد الله بالبساطة وأكل منها الأولاد . وحى هي نا ب
قطعة . وفي الأيام القليلة أسسه كات تراودها ذكرى محدث
وتتبع بوجهي وتلعن نفسها وان فريين وحذر البسامة وعبد
ونكه تحمد الله في سره أن أحد لم يرها وان ابن قمرين
تقول عنها فلن يصدق أحد ولكنها بعد أن كات قد سببت
شيء عما حدث . وأى شيء . يسى قدر اسحت الدائب عن له
العيش الدين لا يسون هم الدين لديهم الوفاء لكي يتذكر
ويسرحو مع الذكرى ، وعزيرة تبدأ ابوء مسعوره تجرى ١٥
وهناك لحصل على حبز لذلك اليوم ، وتعود مهوكة مهددة
ما تكذب تضع رأسها على المخذة الفش حتى يدهمها بعد أشد

متعوله من الموم ، عيونه طويلة يوقظها منه ذلك الهاتف الحمى
الذي يوقظها كل فجر ، هدف المضة والدار الصارعة والأفواه
المتفوحة الجائعة .

حتى المرض الشهري حين انقطع عنها لم تعره اهتماما يذكر ،
فكثير ما كان ينقطع وينظم ويغيب شهورا ثم يعود . لم تقطن
الا حين ذلك تحس . تحس . ورغم كل علاماته واشهراته فلم
تصدق أنه خمسة حمل . أم مرة واحدة أو مرتين يحدث هذا ،
ومن أجل جفتر بظالة ؟ .

أصبح متى الأمر كان عند الله عبد الله لم يقرها من عسر
ابنتها رندة . والناس بعد هذا ، فماذا يقول ، ومادا يقول
الناس ؟ هو من يملك فهو عاجز من فيها ، والناس لن يملوها فهم
لن يستضعوا لها . ولكن القتل عندها أهول من أن يعرف
عبد الله ويعرف الناس .

كان لابد أن من تحس من هذا اثر المستطير لدى رقد
في مكان ما من نفسها . ، كبر آبل يوم . وسنوها ، ولان يبدأ حتى
يحمد نفسها وحرب عزيزة كل شيء . أعواد الملوحة وإدارة
الرجل فوق نفسها . وعقر من اسطح . حربة . ونكه كان ابن حرم
فعلا فله برحرحه كن هذا ولم يستغه ، بل مضى يكبر كل يوم ،
بل بدأ . بعد . ولا يحول بينه وبين أن يفضحها على الملا الا هذا
اجرام اقوى اسيف الذي يحرمه في عل وحروب وكأنها تريد
أن تخفقه في بظها وتقتله قبل أن يقتلها .

كان الجرام يخفي بظنها الى حد كبير . وكانت تتراكم

ما اهل الاسود الواسع مهذلا فوق الحزام الخارجي ، وحين
يسئ وحين تقف وحين تنام وحين تتحدث كانت تراعى دائما أن
تدل هذا طرفة لا تدع محلا لبثت فيها . وكان هذا يؤميا أشد
منها . وكانت تتحمل شد الشد تدحى دون أن تكون تبي الحق
في الكوي ، و شكوى أحانا بذهب ارام . وكانت تحبل .
و كالم ، و ينص ب احد في انا . يسعد في لسمع كالم
ونكث احرمة ، و تنحس كما يحول لها . حسس بحره و ترفع يديه
وأنظرها وروحها الى السماء وطلب من الله أن يسدها .
يكن لأجل خاطرها ، فأجل خاطر عبد الله الراقد العاجز .

كل ليلة وكل دقيقة تدعو ولا دعاء من دعواتها يستجاب ، بل
حدث ما هو أمر ، جاء الموسم ، وقادى المنادى في البلد ، النفر
يسعه . أهى والعصف على حمسش يوم . اعدت بعلم الحاضر
وكان لا بد لها في هذا اعدت أن تذهب . لا هلكوا . فعدت
الماضي الذي لم تذهب فيه رآوا حالاه بحوره غير وندشو على
لطوى . لا بد لها من الذهاب . قبل لي عبد الله هد . وفان
الباس ، وقالت هي هذه امره . من غير كلام أنا رايحه .
وأخذت روادتها ، وشدت عني يد عبد الله وهي تودعه وفل
الصغير واحسنه وكتب ونكوا هم الآخرون وهم يصرون عني
الذهاب معها حتى (الجلزوة) .

وامتلات العربة ، ورمز اسائي واصصف ، واصطف معها عقاء
الأفكار تسمى للمحبوب والمعرفة وتعتب سني ارماد . و عربت أد
عريزة بعد حشرحة بكاء أول ارمز ، ثم صمت ، بدأت تعني معهم

وشك شئيت بذات تحس أنها تعادر أرض الفقر والعبد وجذور
الطاعة وثنا بدحس في حجاب المصونة بحديده .

واشتغلت عزيزة ، ونيت كل شيء في غمرة الشغل ، نفسها ،
وعبد الله وسيد . ونكبي أحانا كتب بذكر نظها وما فيه وما حوته
من احرمة . و حانا تسي . واسن ولا كرى لا تكون سوى
حرء ضئيل من الأشياء التي تتعاقب عليها ، تعاقب الشمس حين
شرق وظهرت بحس قوي بعدد وحين غربت وهي تدفع بالنفسة
احد في دهب . كعادتها من فيط وعرق وعسى رفيعة تصل
صرتها في مظم والنس ب فده من عبودية واسر حاء وأحلام تبقى
دائما بلا تفسير .

عن أي ذات يوم . بعد اتمامه . حسرت أن تذكر كل شيء .
وتعني بكل شيء . فندم شيء في نفسها كما تسمع الفصل بعدد قبل
أن يسفر في حدة الحجة . فسد أحسب سواد اطلال انعمت تفر
في سلسلة مورها ثم سيف حوس بسو . فمشرها . أحسب أن هذا
أشهر المعين . ندى تحمله يقتر حذار غضا مطسا بالبحر وروح ، يهر
في اسرار . ونصم . فرب مسمره . كل تابة عني من الأوق
وأوجع وكأنه بهم بهدم الجدار .

يكن أحد من يديها أمار لرحبة قد فطن إليها . وكف
يعضون وهم لا يرى بعضهم البعض إلا محسبي أو مشعري في
أكوم . نية مكندوده أو سارحين و حوم لا يراى بعلق غيوبهم
ومروحين وعب وتراى العبد يعنى احبون كن واحد في حده .
ولكل بلواه ، ولا فرصة حتى للموجوع يقول .

ولكنهم عدا سيعرفون والمصيبة السب في هذا الحسنة حين
تعود معهم الى البلد وعبد الله ، تعود أما لطفيل ليس هو آياه .
أليس الموت أهون ؟

تكاثرت الطلقات ، وما كاد الرئيس يصفر ، وينتهي اليوم حتى
كان وحيدا في شحوب الموتي . من حين ذلك خرج شعوبها .
وعزيزة ساكنة صامدة تتعمل ولا تستغيث . خرجت من الأرض
واعسلت كما غسلوا . وسارت على الماء كد ساروا . توقف
هيبه اذا جاء انصته ثم سرع حين سلك ، حتى العشاء تعشت
وكل ما كتب يريده أن نواصبه انفسه من الجرح . انق يحنق
بطها ، اد حين كان بطها يغمس داخل اجرامه كتب بحس بالأم
مروعة . آلام لا يحسها ليس ولا حد ولا حاد . هي نفسها لم
تكن تعرف بأي حرووت غير شري تحسب . دون ان يبدو عنها قل
لمحة أو بادرة . وكل هذا من أجل حذر بصفة . لا . كن هذا ،
لأنها لم تقاوم لحظة . تلك اللحظة . التي صاحبها سبعة شهور
تطاردتها كاللعنة المقيمة . لماذا تركه يفعل به ما فعل . تموت نفسها
ايها لم ترض . ولكنها ترد وهول . ونكى لم أرفض فليس الله
في كل كتاب أول لأنني لم أرفض . تصرف رأسها في الحائط
ونقول ، كتب عرفه أنه حرام وعيب له تقاوميه كما يجب لم
تصرخي وقت المصيبة . وما قد أتت القصيدة الكبرى . انفضحي
ادن يدعيره واشمعي فصيحه فبولا أنك صعبت لحظة لما حدث
ما حدث . لحظة . لحظة صعب واحدة منها هي التي قاومت طبيعتها
حين رقد عبد الله رقدته الى لم يعم منها . قدمت الميدي التي كانت

ر مد فيها ولا يستطيع . أكون هذا هو السب في أنها صعبت
تلك اللحظة ، اللحظة التي أخذها فيها محمد ابن قمرين .

كان عليها أن تنتظر حتى تمام الترحيلة ثم تبتعد عنهم قدر
ما تسمح بالمد . ولكن اعادة ليس بالارادة . بدأت انواصف
لمحبة من حننها ولم سب اخر من طش . وحبرها في
عرس و حزن . وحزن حبرها ومعصم اساس لا يراون
مستحق حبرها سبها ما بها وملاسها عرفى مبيلة وفي بطها
نار فتقول : رأسي .

وكن لا بد من ليس مه يد . فما لم تلحق نفسها . فسلط وهي
في مكانها تحت سمع الترحيلة وبصرهم أجمعين .

ودعت محبة ، ولم تبه أحد شيئا فقد حسبوها تريد أن
عمل منها عمل الناس . وما كذبت تبعد عنهم بأثار وتعيب قليلا
في عدا حتى بدأ خلق يشبه ويفردها ومع هذا فلم تس
انفسه في انفسها ولا قطعة الصفصاف الحافة الى احترق
نفسها كانت كل منهما في يد .

وكانت مشي حتى وصلت حافة الحبيح ، وظلت تمشي على
اجده حتى لم بعد قدرة على المشي وكل هذا ولم تكن قد اتعبت
من حبه كما ان كانوا على مرمى السمع منها ، تصلها أسواتهم
ولا السلام الراض بها ويبههم لعرفوه وعرفوا ما هي
مقدمة سه

ووصف فطمة الصفصاف الحافة في نفسها وجنت

المرءى وكلمة عوى الطبق الملاحق في حبائها انعمت أسنانها
لا رها في احشيت الحنف وتمبست يدها تعصر طين الحبيح حتى
تقدف به وقد فقد ماءه وجف وتجدد .

وأيقظ لم تنس ما يحب عليها سسله . فم كد رأس الحين
يظل حتى كسرت البضة ومضت نورع محبوبها الرقة عنها بلح
في زفلة الرأس وخروجه .

وانساب الجنين في الهاية ..

انساب مرة واحدة ، وكانا انسابت روحها معه فقد داخت
فلا تلم عاب عن الوعي برقة . رقة وحرقه فنت . وكبي حين
عادت ابي وعهدا . سمعت ، حققت سمعت رقة رقة رقة
الحين ما في ذلك شك . ومرة حده حرج منه صرخة . صرخة
خيل اليها انها ملأت الدنيا كلها وسمعا الناس اجمعون .

وهي لم تكن قد جهزت نفسها بهذا الوقت . كل ما كان يدها
أن تتخلص من هذا الورع احشيت . حتى انسابت موبلا . وسرقة
بعد هذا أول لحدث له ما يحدث . وهذا هو ذا الورع بعد ما نخلت
منه يصرخ ويهدد بالقضيعة الكبرى . من سبعة شهور ولكنه حي
وبصرح . ومدت يدا مرحة عنه مسدة ومضت بحث بكسلة
البشرية الحية حتى وصلت الى فمها ، وانزلت أصبعها بسمرة رعنا
عنها ووصلت الى لفهم . فم . فم حميمي لرضع ليس فيه نسر .
فم ما كاد يحس بأصبعها حتى بدأ يحرك يحرك معبه . ويرسعه
رضع اطفال أصعبها للحظة . لحظة حاضه ، وكبها كبريا . من
هذا احضر النحى الصغير انساب الى أصبعها ثم الى ذراعها . ثم

الى كيانها كلف حساس عذب عذب . وكبوهج الحنف أدركت
أنها رسم كل شيء . ورعه ما لاقته من مضائ ، فهذا الرضع بها
وهي أمه . وتركت يدها فمه وراحت تعبت وتحاول أن تقرب
الرضيع منها .

تكر هي نسي نسوة اد به يكن هي اسي تكبر هي في
الواقع كس لا تكبر ديرة . كس وكذب درعها هي اسي تتحرك
وتجذب الرضيع اليها من تلقاء نفسها .

ويكن كل هذا من ستر سوى لحظة . بعدها صرخ اطفال
ويكذب يدها سرقة الى اثم سسله . وحاول الضحة الصغيرة
أن تنس من رضيع امودونه فوقها فاردد صعد الأصابع .
وبعد أن برقع يدها فيعود الى اعراخ . وهكذا . فب يدها

ومره واحدة أوفت غريبه لفسها فوجدت يدها ميتة على فم
س . . . حبت الطفل ساك ساك لا حراك به . وهبعت في
صوت مبحوح حائف مرتعش .

— يالهوى .

.. كس دس في مكدها . حمنة لا تتحرك ، عبر انها أحبرا
تدرك . حمنة مرتعشة ، كل هبها أن تبتعد ، تحركت زاحفة على
بطنها الى فراش قش الأرز الذي تنام عليه .

كان جيرانها والترحلة قد ناموا . ولم يشهد قلب الحجر
الأحمر الذي ضغ رأسها عليه دموعا ، ولم تسمع أم الحسن جارتها
في الرفاد آيب . وأبنا لم تنم ، فقول الدل كات نحس . كان

١١١٠ الى بصادم الحطة ، وأنه يعصها بين

١١١١ و حديد التصادم .

وهل شروى الشمس ، وبجبروت مذهل ، كانت تمسك خطا

١١١٢ و غيرها محيى ، و غيرها رائعون تبحثون عن اللطع .

وسار كل شيء كما أرادت تماما ، حتى حين جاء المأمور وبدأ

١١١٣ أن يعرفه يست ساك نصف يوم و سرب من مدمه ،

١١١٤ و منه دون أن يسوقه . و حين جاء انولس لم يثبت أحد

١١١٥ بل حتى لم تستدع لشون بين يدي وكل اسدنه . كن ما في

الأمور أهي ، قبل العروب وهي عائدته مع زياتار من العبد ، عن

١١١٦ لها أن تغير طريقها وبدلا من الذهاب الى مقر مكان الرحلة عن

طريق السريعة . تذهب من طريق الخليج . مد لم تكن بدري

١١١٧ بدأت تسير فعلا في اتجاه الخليج ، و لكنها ، افسحرت فجأة وسادت

١١١٨ مسرعة للتذهب عن طريق الترفة .

وتعشب مع زياتار ، ولعريب أهي وحدث شهيد منفتح

١١١٩ على غير العادة ، وثبت أهي فرشيا تشن ومجدها احجرة وكن

١١٢٠ ما يشعلها هو فرجة الافاق ، وكان لبث افرجة قد توب بعدد

١١٢١ جسما وكبت كل آلامها .

واستقبلت مع الأنصار في الفجر ، ومع شعاعات الشمس الأولى

١١٢٢ بدا لها ان الهم قد اراح عن كاهها الى الأبد ، وبها أصبح

١١٢٣ طلعه حرة تحلست دون أن يشك فيها أحد أو يعيرها أحد من

١١٢٤ انورم الحيث ابدي كاد يوردها حتمها . بدا لها اعباح حيلها

١١٢٥ جدا ، وبدأ لها أن كل شيء سوف يسير كما أرادت تماما وكان

١١٢٦ الله معها .

وفي طريقها الى الفيط ، خرجت لأول مرة عن العرلة المقيتة

١١٢٧ التي كانت قد فرحتها على نفسها ، وقد أصبحت متشبة باحساسها

١١٢٨ أن لم يعد فيها شيء يسعها من أن تكون مثل سائر الناس ،

١١٢٩ تخالطهم ويخالطونها ، وتحدثهم ويضحكون معها .

لونة نوزها انفكت ، ورأسها غسلته وسرحت شعرها وبما

١١٣٠ لمرقة الأولى مد شعور . وبثت عريده مرحة مرفقه على عير

١١٣١ عادي حتى تهب شارك الأنصار في عنائهم أثناء العمل ، حين

١١٣٢ ينسركون في ترويح عن مهم لب ، وتناحده وباحمها ثم يزفهم

١١٣٣ الأتار جميعا بنشيد جماعي .

غير أن كل شيء لم يسر تماما كما أرادت عزيره

١١٣٤ فبعد يومين بدأت تسفن وتخص بندق متواصل بنت مفاصلها .

١١٣٥ وفي اليوم الثالث بدأت مسحونة بحول أي يد ان تصاعد

١١٣٦ من جلدها وجوفها .

كانت قد أصيبت بعصى النفاس .

١١٣٧ ولكنها لم تكن تعرف ماد أصابها ، ولا رأت أية علاقة

١١٣٨ ممكن أن تكون بين ولادتها في العراء على حافة الخليج وبين

١١٣٩ ما يحدث لها . كل ما أحسته أن جسدها بدأ يحونها ، وأنه لم يعد

١١٤٠ بضوئها في منطها أو في مدمها ، ولم يعد قادره على صلب حيلها

١١٤١ في الحظ .

والآن آلام الدنيا كلها وحرارتها كأن لا يمكن أن تشبها عن
أعمال ، فاستمرت تسرح وتروح وتمسك الخط مثلها مثل بقية
الأمم ، تدحرج وتدحرج في ضلالتها وتعم عليها نفسها ،
ولكنها تضغط على نفسها بجيروت وتقاوم وتنتحي وتعمل .
وبالاصطلاح لم تدرك ماذا حدث في اليوم الرابع أو الخامس .
كأن في صف الأشرار عوولاً لم يأتوا يوماً بحد في ترد وفجأة
وقعت في الحفرة . وأدركت بحسب نفسها (حسنة) ولكنها
ما كادت تلبس حتى بدأت تسرح وتروح وكأنهم يعدون بها
ويمنعونها من أن تعمل . بل قامت فعلاً تريد مواصلة العمل ،
ولكنها دحرجت وأربععت ساقها بحسبها ووقعت وأدركت أجساد
نفسها مبنولة بالماء الذي رشوه عليها .

ولكن خطبها وصرخا اننا نفضل من طريقك لكي قد حبيب
حسابه .

أم الحسن جاريها في ارقاد بدأت تسمع كلامه غير متوهة عن
حذر البطاطة وابن قمرين وعبد الله والحسين الذي هم يكنى يريد أن
يكلف عن الصراخ

ومن كلماتها المتناثرة : وهومات النساء واضافتهن تكاملت
حكائنها وأصبحت خيرا .

منه وان يوميتها سوف تحتسب ، وكان خوفها الأكبر اذا رقدت
ان يمتلح اجرها فيموت عبد الله وأولادها من الجوع .
وحين رقدت عزيزة وقد اطمأن قلبها على سريان اليومية يدا
" يا المرض كان يستمر فوه كب يده محبة . فقد احست .
وكانت فجة ، انها فعلا مريضة وان المرض قد استجاب الى درجة
لم تعد تستطيع معها ان ترفع ساقا أو تحرك يدا .

مع ان المأمور كان هو أول من عرف بحكاية عزيزة الا ان
حبرها كان قد وصل الى اعزبه كثيرة حتى قبل ان يصبها هو .
ذلك انه حبر لدى اسطوخمب لسان فيها طويلا وتلقموه تنقف
المنهوف . فلم يكن فيه حلا ليعر لدى حبرهم فقط ولكن احل
أيضا على محة مرض . الحلي كما أرادوه بسا وحافوا ألا يكون .
حين ردت به حدودهم ومحمت حواسهم وأعاد لهم الثقة في
نفسهم وخلافهم وسائهم وفهمهم ، تلك ثقة التي طلب حائرة
مرسنة نحوه حولها "الشكوك . وتطاول عليها الالسن منذ اللحظة
التي عثر فيها عبد المطلب الحفير على اللقيط .

ومن اقترحه الى قوس به الحبر في العربة كان يحل اليك انه
او لم تكن هناك مرره وحذر بضاعة لكل واحد منهم أو أكثر
سائف سريره من سده وألقى بها ما شاء من حدود ابطالة
أو كراي الإدارة . ولرب حكاية ودارت وأصبح في النهاية
حقته . فان يعود لسان السهم شيء ضروري ، فان لم يعد على
هيئة حقيقة فليعد شبه حقيقة ، اد الايمان سوف يتكفل بها ويجعل
منه حقيقة ، والناس تريد الايمان على أية صورة ، فان لم تجد
ما تؤمن به في الواقع آمنت به في الحكايات .

هلب العربة الكبيرة لحبر بلاحيه وأسطواتها وكل موظفيها
وحى الناس في طرقها . وكلما انفى أحدهم نال آخر صرخ

فيه : مشر قلنتك على الطلاق . ه ه لاول قس ايهم نرحية جالك كلامي .

وَيَوْمَ لَأُخْرَىٰ عَلَىٰ حَدِيثِهِ لَمْ يَكُنْ يَقْسِمُ هُوَ لَأُخْرَىٰ سِيرِ
الطَّلَاقِ ، وَيَسْتَفْتِي فِيهِ الْحَدِيثَ مِنَ الْفَقْهِ فِي رَحْمَةِ نَفْسِهِمْ
بِإِعْتِبَارِهِمْ أَصْحَابِهِ وَالْمُسْتَوَلِينَ عَنْهُ .

ذلك هو ما حدث ، فما كاد أهل العزبة يطمثون على سلامة أنفسهم حتى بدأوا يستديرون لعراوة الناس كذا ، فدخلوا وحودهم الى بيت المحطة ، وبعضون سبي رأس النخس كذا لا يحسن بهم حسن . بدأوا كمداد حجر حريه وانطفا وحكاه يصحون محض نظار الناس ومحل انفسهم . وكان في هدم ، املاحون انكر والمرايون هم يقبل احمر اكثر من ك هج كامل نقرهم من عر نوه واشمراهم منهم ، فاصبح انجات عنهم يسعه او يسعه سبل من انسانهم وخصاب كذا انرجس في نظره حثالة آدميه بعد على تفسده مره او مرين في ك كرواء الذي لا مفر منه ، فبدأوا حتى كشتون ان بيت احد قد صدر عنها شيء حرام كهذا الذي حدث منذ أيام حاولت اخفاه والصدهه نأهل العرب . انرجس انفسهم كذا كده . يصحون شبه حراما ، وكان الناس حسم مخلووب حرام حرام وحدهم مخلووب حرام . أنه نشاءه يصبح سلبه حراما . حراما ؟

نساء الفلاحين هن الأخريات كان لهم مثل آراء أزواجهن
وآبائهن ، بل عُرِب من هذا ، كن أكثر حمداً و"كبر بحاملاً و كبراً

بسیکٹر شمی اتہ حیلہ ان بعض احداثی مثلہ یحلیل ، وان تلذ
مثلاً یلذ ، حتی لو کان حملها وولادتها حراما فی حرام .

وفي سودة مسيحة أهدى أبي سبه في ذلك اليوم كان قرحاً على
عن سودة . بن دفعه الفرح الى بيوت وآبى على وجهه أن تدب
لهم في ذلك اليوم وتوسم .

وإن دسّ الدجاجة . ذرأته سبكت الرؤوس والحاجين
كمدة كمد دجاجة دجاجة . ولكن رأى معنى هذا أن يباح له أن
يضع بيضه في صدر أم دجاجة . وأنهم من هذا السباح . أنه أن يفتح
(أمه) . السكين . وفرجة الكسرى كذب حين يفرج أحشاء
الدجاجة . وأضاحه . (موصلة) . ويحرق بها السكين
بمسحة يدين ويتحسس الحصى الأصفر الذي يعضر عليه داخلها
ثم يربط الدجاجة إلى تصعق في الدمرة واحدة دون تمرق
ولا محدود وتضج موصلة معها بطعة تكذب من بطاقتها أن
لتهتها دميان التهاما وهي نية .

وضحكك هذه مذاغيت أبيها . وفلبلا ما كان يداعبها ،
ووجدت الفرصة مناسبة فطلبت منه أن يسمح لها بزيارة أم ابراهيم
روحة . و ابراهيم اعطى اد مرضى المسكينة و أرسل تطلبها .
والعاده كتب قد حزن ألا يحرج لده الا لزيارة أسرة المأمور
أو في أخراج كبار بصلاحه دا دعس الى فرح ، ولكن مسيحة
أفتدى كاد في حدة اسي ممكن أن يسمح فيها بأى شئ ولو كان
حارفا بعدد . أفتى بطرح حدة على أم لده وكأنه تطلب رأيا ،

مراتب حاجتها حتى بدا أن رفبها الرفيعة ربيع هو الأخرى
وتصبح أكثر طولا وقالت : والله أنت حر .
فقال مسيحة أفندي بتهلل : خلاص .. وحي ياست لده
بس خدي منك لعن تعديكي حاكم بيوت اصلاحين مناه
مكروب .

وكان فكري أفندي للأمور أحد اساس بركة فهو الذي
بالطيلة ولسلحه أشد لي اسرحلة من أول حمله وكذا أنهم
القاعدون . وهو الذي طلع يدك وسمي حتى كللت مساعه
بالجراح وتحقق فراسنه ونش على عدسه في اسرحله

ولكنه حين عاد الى العربة . تكن على سبده مع . فرح
أو بشائر انتصار . بالعكس . كتب ملايحه عائله . وفيه حبه أمل
وبوادر تكبير . حتى حين فيه محبوب لوسبحي لدى كان قد
عاد الى احده مع ركة بعد ما كفن للأمور برد عتبه واصلا
ما يسهب حتى أنه حملها نقل أمامه فدهم محبوب . وفعلت هـ
ومحبوب يستعيب ويرقص فثلا ايه سحبت من كل هذا حين نمر د
به في البيت بعيدا عن اساس حتى حين فيه محبوب وهو لا يرت
معقل حبه لخطايا اي حبه مع أن عمله كان يسوي معه
هوات قطار الرابعة ولكنه كان يحب ألا يرت الس لا وتحب ايه
الحقية وكأنما ليميز نفسه بشيء عن بقية الناس . حين قابل محبوب
ورآه مغموما أحب أن يسرى عنه كعادته وقال له انه من يوم
الحكمة ايها بدأ بنعم انراءه و لكنا عني يد الشيخ أبو اراهيم

الفني حتى لا تستعمله ركة مرة أخرى ، لم يضحك الأمور ،
ولا حتى رد عني محبوب أو حمل به ، بل ماكد يسط من فوق
الركوة حتى توجه لي به في الحال وقال لروحه انه يريد قهوة ،
وحين جاءت وجدته قائما على الكرسي فلم تشأ ايقله .

وفي اغفائه رأى فكري أفندي نفسه قائما مع عزيزة تحت
الظله واليد كهم يفرحون عنه وعنها ، وكان زوجها يبطه
المسح وافتد مسبك حضا مع الزمار ، وكان هو الآخر يفرح
. لا سعل نسب كثر من أن سول حرام عليك يحصره الأمور .
حرم سبت . ذي سبه

و من فكري أفندي مختنقا وكأنه يعاني من كابوس .

صلب المعاب نهال سواب اهار ونصب على اسرحلة وتندد
بهم . حتى من حيدى صاحب مكان والوحيد الذي كان يستفيد
من وجودهم في الميش . كان بلمهم حتى في وجودهم ، ويدي
اشترره من أيدهم اكثريه المندد اليه فثلا هم انه قد أصبح
يسبح حتى مجرد نس نكلهم وملايهم وكانها هي الأخرى لقطاء
جاءت من حرام ، وداهية الى حرام ، وعلمسها خطية .

أولاد الفلاحين وحسنهم فسط هم الدين دونا عن قاطني
الميش كان هم رأى آخر في المساء . في النهار فعموا مثل كل الناس
وكلما صادوا امرأة من ساء الترحيلة كانوا يأحدون في رفها
والتطيل على صفيحة قديمة وراءها ، أما حين جاء الليل فقد أصبح
لهم ردى آخر . وأولاد العربة ككل الأولاد يحوذ الليل والنبي

فيه . الليل ، حين يتشمع الفضاء المحيط بالعزبة بضوء القمر
والمسرة الليل ويضيء صفادته والرائحة التي تصطبغ بخلافه على
الأرض ، حتى ارتفع لأقصى تصبغ له في عمل رائحة وكأني يدحر
أركي روائحه لين . يسي أولاد حينئذ أجد الهدى وحلافة
ومشاحاته ، يسون حتى آتاهم وزجرهم ، ونسبون اليوم الشاق
الأي ، وكأنهم لا يعودوا يدركون لأتاهم آتاهم . آتاه
الليل والأرض واحده تضادع وسجود واحده ذلك الممر
الحين الطيف ، ويعبون . يعبون الاسمدة وحريون ، مودنا
عمونا وعسكر وحرامية والحجر دققت وصرح . يبدأون اللعبة وفي
دورين يكونون قد رعدوا . فيفسون بضعة وسنة في غيرهم .
وعيرها ، صاحبك صاحب . لا يعكر صفوهم مكر .

في تلك الليلة افراح واحد من أولاد بني دهمان
ويفرحوا على لرحبته وأولادها وهم يعولون وفوجي صاحب
الاقتراح نفسه بالضجيج العظيم الموقى لدى لافه مرحبه .
اد هو قد افراح هذا وهو حائف . ذلك أن من الأمور المتعارف
عليها بين الملاحين أهل امره أن من المسحس على أولاده أن
يلعبوا مع أولاد الرحلة أو حتى يفتربوا منهم وكأني فسبون
ببجدام لو فعلوا هذا . وم يكن أحد سأل عن سر ذلك لتجرب
أو يحاول منافسته ، قد أكثر ما يحرم على الأتفان وأولاد
ولا يستطيعون منافسته ، وهل يستطيع أحد أن يفتش أنه حين
يقول له هذا عيب ، أو هذا حرام . حين يذكر كسب كهده فعلى
الولد أن يطيع وليس عليه أن يقول ثلث الثلاثة كام .

هذه الأولاد لأفراح رملهم موافقين مع علم كل منهم أنه شيء
عيب لا يصح الموافقة عليه . وحين نسوا أنهم جميعا موافقون
متحمسون ردادوا حقة وحساسا لسفيد الاقتراح وكأني لم يعد
حرام وكأني شيء الجرد . دا وافق عنه اجميع أصبح حلالا وللا
لاشك فيه .

وما أسرع ما أصبحوا يسبون نرو أنهم يستطيع الوصول
نرو في مكان مرحبه وكأن معزده تطرحهم هناك أو كأنهم على
بعض سجون تات مداه شيء سعي آتاهم وتمهيدهم يعتونها
بأقبح الالفاظ ، ويصونها بأشنع التهم .

ولكن . . . من غير أن يسبون أحطرد أحطربه إلى تفصل
حربه . كمد من مسابي لاداره والسرابة والمجارب والجرن
المداب . وبسبب ما في ما حلب رحله . وأوا في الطلام
المقارن والقفف والزئج مرصوصة متناثرة كشواهد وضعت
على سبيل من مكان رحله . ما أن رأوا هذا حتى كهوا عن
حجرت . ثم راحوا يسبون الواحد وراء الآخر على أنراف
صانعيه صنادي حيث يمد أولاد اسرحله لاند في وسعاية
جرن . وكأني حائفين جدا وهم يسببون غير مكان الرحلة
وكأني ماريون على فسله من فائل "الحن حبص رحلها ونامت في
ذلك المكان ومع خوفهم الشديد فلم يستطيعوا كتم صحتكاهم ،
فقد سمعوا أنواب شجر كثير متصاعد من الرحلة شجير غير
مستطع بناء كمنى الضادع في خليج الذي يحاورهم وأرض
نار . والدي صحتكاهم أن الضادع كات سقق فسدو وكان

الرحيلة ترد عليها بشجرها ، وكما شجرت الرحلة ودب عليها
الصقار بالتقيق .

وعلا كان أولاد لرحلة يلعبون في ساحة احد بعدا عن
آبائهم الرفدين متعبين وبعيدا في لوقت نفسه عن المكاد بدى
يلعب فيه أولاد لرحلة لم يحرم أحد منهم الا ضرب من أولاد
الرحلة وهم يلعبون ، ولكن ، من مجرد معمله فاحش لهم كانوا
يدركون أن هذا لا يكد شيء محرم وان وحدهم أن يسعدوا من
الرحلة وأولادها قدر الطاقة .

وقف أولاد الرحلة من بعيد يتفرجون ، وكانوا يتوقعون ههنا
وكأنهم يوقعون معارضة أو حرا ، من لا يحدون . يتقدمون
الحزن واسع كبر ، فيه كرم هائلة من تنس ماكنه المراس تكاد
يصل في ارتفاعه أي ارتفاع لرحلة نفسه ، وفي كرواه صحة
من الصبح ، وفي بوارج أي ها الملاحون بدس يرفصون أن
يدرس قمحهم في ماكنه المراس والى آخره أن يدسود على
الوارج وبوحد أيما أكثر ، فصيح الحورج كد بقوول مروق ،
والماكنية على لأقل تلهم ثلث لمحبوب سرغيت التائه المشومة
وأولاد الرحلة كانوا قد احتاروا لمعهم شمة فسحة غير مشعوا
تحيطها أكرم الصبح والس من كل الجهات وحفت تلك الكوا
وداحنها احشد أولاد الرحلة يفرحون وصلوا وقد ضوبلا لايتهمو .
شيئا مما يدور أمامهم وكأنهم يفرحون على أولاد من حسن

أو ملة ثالثة ، فمعهم سر متبومة . وألعا بهم عربة ، وحتى صحكهم
يدو مختلفا تماما عن ضحك الأدميين .

وانكبتهم بعد حين نذاو يدركون بعض ما يدور أمامهم فأولاد
الرحيلة كانوا على ما يبدو يمثلون ، وقد وضع شاب منهم شيئا
كمشنة الخبز فوق رأسه ليمثل بها دور بائة جين ، وشاب آخر
كان مثل دور عسكري ، وحوار دغاني يدور بين العسكري
و بعد أن . العسكري يتحدث شاب فودا والساعة تتعبدد
وتحاول ، ترشيه بقطعة جين ، معددة مزايها ، والشاويش يرفض
ويرد سود ويرجف ، ويوحيا بسعة لطيفة . لعة عربة وطريقة
سرية في اللعب معها هؤلاء ، وأولاد لرحلة (شبة) السى
سرى ألب (حبه) لما كانوا قد تيسوا شدة من كل هذا المراهبة
أن تبه لهم هم لآخرين ، أحب لا يعرفونها هم ، لماذا ادنى
يردعه أدركهم وسكن الرحلة كن هذا الارداء أبهم يرحسوا
أن يشاركونهم اللعب .

كن هذا مجرد حذر عن أولاد الرحلة جميعا وكأنا من لهم
في نفس واحد ، وكعدده اسن احاطر على الفور من أدهانهم الى
تسليمهم ومن ثم أي أحسادهم وأرحلهم - فركوا أمكنتهم وتقدموا
أي أولاد الرحيلة ولم أحد الامر أكثر من كنهه وحده ، تلعبوا
معنا ، يلعب معكم ، وتساعدت على انور تهله كبرة من أولاد
الرحلة والرحيلة مع ، تهيه حذب بعد المطلب الجبر من عند
احسح وحمله نظروا لهم ويظادهم حتى تجلاهم عن الجرن .
ولكن أولاد الرحلة كانوا ماكرين فقد اقترحوا على أولاد الرحلة

لا تعداد بينهم وحجراتهم الا في الدنو حتى أصبحت مجرد ديارتها
ليت آخر ولو بيت لشح أبو ابراهيم الشيء حدثا يستحق من
أجله أن تجلس بهورة الأتقاس .

كاتب أم إبراهيم هي اسي تقوم بأعماله لأكثر من الحديث
إن الحديث نفسه كان قليلا ولم يكن كافيا لهم
مستلزا مستلزا كعادته - كان يتفحص وكان به حجة مشعرة
شيء أو توقع شيئا وكما كان يذهب أغلب الأحيان - كما
تشارك في الحديث وترد بحجة أو بحكمة فصاره سببه - كما
بأنه من شيء أو يريد أن يتحدث من شيء - ووقع أنها كانت
أبهي مظهرها ، وجهها أبيض محمر قد طلى بطبقة حمراء
الوردية لا تكاد تلاحظها على - وشعرها دايع مبرج بحيث
خضلة منه على جبينها - ونفث ومازجته - وتغيبه ولكن
فيها أثيق جميل رائع في أدقه وحسنه لا تكاد يماس أو
بالحجرة الموضوعة بالحكمة فيها - حادة وهي تريد أن تحسن
فساتينها الثلاثة - ذلك الذي فصله عنه وداري الأحمير في
في شبرا مصر -

كانت أم إبراهيم قد بدلت جهود الجبارة خلال الأيام التي مضت على تلك الكلمة التي أشرها اليها أحمد أفندي عند الجمع ، كانت أحقت لي أمامها صحة وليس من التغلب عليها ، فمجرد الانفراد بلسانه مشكك فما بال الطويل ايها ، والحدث الطويل ضروري ، فمده و ن كد جاوزت من الروح ليس الا أنها من تلك الناحية خام من الدرجة

أما في هذه المسألة فليس كذلك. وعلى الرغم من أن هذه المسألة هي
جاءلة لم تقدر أرض التفتيش قط، الحديث اذن الى لئلا أمر
محفوظ بالمحظوظ خاصة اذا كان يدور حول أمور دينية مماثلة
مثل ذلك

[illegible]

الى الحادث عنهم بشكل خاص ، وتعرف منهم . وتصنف . تضع
القوى في جانب ، والفحل في جانب ، والضعيف الخائب في جانب
آخر . وكذا من الطبيعي جدا ان يبدأ في الشئ وان تذكر على
سبيل المثال بعض الرجال المعروفين في التفتيش ، وأن يأتي ذكر
أحمد سلطان ، وأن توقف عنده ثم ابراهيم بنو ولا وشهدا شاة
عنه وتصنفه كأشئ مثل لرحل والحجل والمكر . هنا بدأت لئلا
تجحل وتكد تمنع أدنها عن اسماع . ولكن الحاج . ابراهيم
كان لا بد ان يعجب على حصة . ويصح . لذكر . حارة
به هو وكذا دلال . وصل . الحج من حرف كذا .
تصنف حين يقع حب لا اسماع . سامعها . شدة . كلف .
الجديت فحاة اذا رأت الخوف الحقيقي الذي يعقبه الرقص يصرخ
الى سامعها من هو . ما تقول . دكة . و .
المعرد . واسطع الى الشيء . حارة . اجديت .
الحذيدة . وتحمل من المجوج مقبولا ومعقولا ومرغوبا .
وكان ان اسحب منه . من دشاء كره . تؤمن .
يمكن ان يستمتعن بما تنسج به اساء . وتقي مع هذا
تؤمن بأنها بعسة ومحرومة من كثر سعده .
أن سره . ومنى . روح . له وحده .
لارما بحسب الاشئ هو . وكذا .
كلما فكرت في الرجال ثقرتهم في خاطرها حتما بأحمد سلطان .
عند هذا الحد بدأت أم ابراهيم تغير النعمة ، وتحمل سلامات
من أحمد سلطان للست لئلا . سلامات كانت تعجب لها لئلا أول

الأمر . أن أحمد سلطان هذا له في انفسه سوان دون أن يرسل
بالسلام . أو سلام . به ان السلام اوحيد الذي كتب تهنئ له لئلا
هو السلام حين كان يجيئها من صفوت ، وغادرا ما كان يجيئها من
صفوت سلامات .
كان . حارة . كتب دومة . فك . به . سلام .
شيء من وحى الساعة بلا هدف وبلا تدبير . ثم بدأت السلامات
تصبح عن عبد ، ثم فتحت أم ابراهيم للئلا قلبها وأخبرتها أنها
تريد أن تقول لها سرا خفيا لا يعرفه انس ولا جان ، ولم تبدأ
بأخبارها الا بعد أن أقسمت لئلا بالمسيح والانجيل أنها ان حارة
أحدا . وأعادت القسم لكي يطمئن قلب أم ابراهيم .
.
قالت لها ان أحمد سلطان يحبها حبا لا يتصوره العقل . وأنه
لا مطمع له ولا هدف أبدا من وراء هذا الحب ، كل ما في الأمر
أنها زارته ذلك النهار حين تبعه جنبه فباح لها في نوبة ضعف بصره
وملب منها أن تكتبه دونا عن الناس جميعا ، ودونا عن لئلا
.
. بها أنها تعرف شيئا خطيرا كهذا ولا تقوله لحيبة روحها لئلا .
وفي أول مرة ضحكت لئلا حتى كادت تموت من الضحك ، ضحكا
.
خذ لئلا الأمر على محمل الهزل فيتسد تدبيرها ويفسد كل شيء
.
.

يظالمها بوجهه الحبيب الى نفسها ويقول لها هذا الكلام . ولم
من توقع أبداً أن تدب كلام كهذا من أحسنه أحمد سلطان .
مرؤوس أتباعه لا يمكن أن يكون لدى أحدهم سب في من
حياتها ومركزها .

حين أحسب أم ابراهيم بهذا عرب موضوع يحدث في
وم حاول محادثته فوجد أنها وكما حدث في
الأساسي خبر في المصحح والاشارة مردد في
الموضوع . وفي كل مرة كذب من دها كذب سب
حالة أحمد سلطان وما يعاينه من وجد وهيام حتى تأكدت لئنه
تماما واقتنعت فعلا أن أحمد سلطان يحبها دون أدنى شك ،
وأما ابراهيم ، وأم ابراهيم بدورها لم تعلق على قولها بشيء ، وأما

عن أحمد سلطان مما أثار دهشة لئنه وعجبها . وحاولت لئنه
يدفعها حب الاستطلاع أن تدق على أطراف الموضوع من بعيد
ولكن أم ابراهيم لم تستجب ولم تصح فمها بكلمة واحدة عنه
وكادت الجلسة تنتهي دون أن يرد له على لسانها ذكر ، بل وبدء
تستعد للقيام بحجة أنها لم . بعد وأن أبو ابراهيم رماه
للبيت . وألححت عليها لئنه أن تقعد ، وصممت هي على ألا
وحينئذ ، وحينئذ فقط . قالت لئنه وكأن الأمر لا يعيها .
سوف يكلم المأمور ليقول أحمد سلطان من بيته الملائق لهم إلى
بيت آخر ، ومع أن أم ابراهيم كانت تعلم تماما أن هذه كذبة

اخترعتها لئنه في التو واللحظة إلا أنها ابتسمت حين سمعت هذا
ورفعت ثوبها وجلست . وبدأ بينهما حديث خجل متعثر وكان كليهما
يحس أن بعض شيء موضوع شائن . منهم أم ابراهيم أدرك
أن حب الاستطلاع بدأ يتحرك في حنايا لئنه ، وكانت تعرفه
أن حب الاستطلاع بدأ يتحرك في حنايا لئنه ، وكانت تعرفه
يحركها أني يشاء . ومضت أم ابراهيم تفذي هذا السيد الجديد ،
وتصور لها أحمد سلطان وتعيد تصويره بطريقة بدأت تبلبل لئنه
وهي . وفي ذلك الحين . وكما حدث كذب شديد في
الأمر كله ، وتستبعد أن يكون أحمد سلطان قد عرق في حبها كما
تدعي أم ابراهيم ، وفي نوبة من نوبات ذلك الشك واجهت أم
الموضوع قد تفسح ، وأن لئنه قد أصبحت الآن في حالة تسح

كأن هذا هو جواب لئنه في ذلك اليوم . ولم تشأ أم ابراهيم
أن تحرصها أو تشيها . بل وفقت على الحياء ، كل ما في الأمر أنها
تؤكد لها أنها إذا أرادت هذا اللقاء فسوف يتم في سر تماما
. يترب إلى أي مخلوق ، وما عليها إلا أن تحضر إلى
. حجة وبرك الباقى عليها هي . ومنذ تلك اللحظة لم تعد

وقالت أم ابراهيم بصوت متمازض ممدود وهي متكئة تماما
من شخصية لقادم :

— مين ؟

وشحب وجه لنده وبدأت مسامها تحجب وشعرها يكاد يقف .
ودخل أحمد سلطان ، مربوطه العماق مائل على جبهة يكاد
يخفى عن الناس ، وجلبابه الحريري البلدي مكوى ،
و سرو رصود ، ورواية حنة والور يطل من وجهه ،
وشاربه مقصر ومزوق . وقال بإتساعة واسعة مدرية وكأنه لم
يلحظ وجود لنده :

— مساء الخير يا أم ابراهيم . مالك ؟

فأجابت أم ابراهيم بنفس تصنعها :

— يسعد مساك يا أحمد أفندي . ما في . الظاهر اني باستق
والا ايه ما أعرفش ، مش تسمى يا أحمد أفندي .

ولمسة تسلمه ، أحدهم حرف أحمد فمساهم في حادثة ،
أعلى وكأنه فوجيء ، وقال :

— الله ! الست لنده هنا . مش تقولى يا أم ابراهيم .

وهم أن يستدير على عقبه ويفادر الحجرة تأدبا ولكن صوت
أم ابراهيم ارتفع ومعنى — على أنه فائكه هو سب
ياخويا . ما غريب إلا الشيطان . كل هذا ولنده جالسة في مكانها
وكانها في دوامة ، لا تستطيع أن تنظر ناحية أحمد سلطان ،
ولا ناحية أم ابراهيم . ولا في سب حجره أو حتى في أنف

وبدا أن حمد سلطان وكأنه سنجاب لا يحاح أم ابراهيم فتحسح
وتقدم بضع خطوات وقال بتلثم :

انبي بقول البيت منور ليه . . مساء الخير يائنده هائم .

سعد محمد نفس . حرك لنده شفيف . صوت مع أنها
أرادت أن ترد ، وتداركت أم ابراهيم الموقف قائلة :

— يسعد مساك يا حيي . البى يخليك لشبابك ويثولك أمانيك

ومد أحمد أفندي يده ليلمس على لنده . وارتكت لنده برهة
لا تدري ماذا تفعل . ووجدت أن خير ما تفعله أن تمد يدها هي

أحمد سلطان . ولما ولدهم . ولما ولدهم هي أسي . ولما ولدهم .
ولكن أي لحظة ، يد أحمد سلطان بأصابعها الكبيرة الجادة

أصابعها . ولما ولدهم . ولما ولدهم هي أسي . ولما ولدهم .
بأن تؤكد لها أن آخر ما تريده هو أن تأخذها ، يده هذه تمتد

وتمد يدها . ولما ولدهم . ولما ولدهم هي أسي . ولما ولدهم .
أصابعها . ولما ولدهم . ولما ولدهم هي أسي . ولما ولدهم .

كروية . ولما ولدهم . ولما ولدهم هي أسي . ولما ولدهم .
تفسها ودون أن يمسها أحد ، يد ما أن التفت بها يد أحمد سلطان

حتى تحسب . ولما ولدهم . ولما ولدهم هي أسي . ولما ولدهم .
تحيا فيه ، الخبز الذي في حوزة اليد والذي هو بلا شك أجمل

وأروع من لحم لا تراه إلا في الخيال ، وصفوت خيال ، وأحمد
سلطان هذه يده ، غريبة عن نفسها وخيالها ولكن فيها ذكورة ،

ذكورة تحرك في كامنات أشياء لم تتحرك أبدا من قبل .
لحظة . حمد سلطان . ولما ولدهم . ولما ولدهم هي أسي .

الكوارثه ، كبرية من نسيبها فقط ولكنها مستقيمة هو الآخر
 فاعتباره علم بالامر وتستر عليه ولم يبلغ السلطات . كل ما استطاعه
 هو أن يأمر الأسطى زكي حتى انشأ الذي كان يعمل مركز
 حلاق الصحة ويزاول العلاقة وتطور الامر فوجدوا عدة
 لتقوية اليه وعادة الشبابة وعلاج الحمى ، يأمره في السر وكاننا
 يخاف أن يضبطه الناس في لحظة ضعف وعطف أن يتولى علاج
 غيره ويجاسبه ، ورغم أنه تولى علاجها فعلا ، بعاملته البيضاء التي
 برز بها في ذلك .

ومسألة أخرى ظلت سرا لم يعلم بأمره مخلوق . فالمودعة بين
 امره ، ولم يفعل الخطاب الذي ضبطه مسيحة إلا أن أراد الطين
 به ، ومن تلفاء نفسه كان مسيحة أفدى يتحين الفرصة ليمسك
 على المأمور خطأ . ويذهب عريضة بسحبها من مصر . وقد وجد مسيحة
 يده ويرسلها باسم مستعار الى الدائرة في مصر . وقد وجد مسيحة
 أحسن في حساب بومة حرره . وقد عرسة مومنة فشب منه
 من أبواب السماء الواسعة . وبعد أن تأكد من أحمد سلطان أنها
 منبذات فعلا في ذلك بومه ، سهر ليله ليكتبه يدعي . فسمي
 صولته بهذا المعنى ميسموم . لأنه برود في عدد الأيام .

تفرق مع مومنة . وورد في (شمس) ابومنة وأن شاهد على
 ربه حتى وموجود وما على جانب الخوافة إلا أن يرسل المفتش
 حتى يصادق .

وبعد أن اطمأن مسيحة أفدى الى لهجة العريضة ، وضعها في
 كيس .

لنفسها ويرسلها . أفندى أخيرا والعريضة قد أصبحت في كيس
 المخذة تحت رأسه ، بدأ بعض التردد في أنه لما كان في بيته .
 أيدا في إرسال أية .

وبل دميان أصبعيه وفرد كفه ورفع رأسه الى السقف وقال :
 مسيحتها يا أخويا ربا يسهل لك .
 وبقيت العريضة مطوية في كيس المخذة .

ظلت عزيزة راقدة في تلك الفعلة المكشوفة التي تصلها
 شمس .

منه عزيره فقد عادته الى عشيمهم ، ولكنه توفي بعد قليل واستدار
 ناحيه الجنوب وألقى فيه بالكوبريه ثم نكس أن تصعد كوكبه .

ولم يكن البحر للرحلة في اعطالا بعد اعداء . وله بسط
 جهود ارس أو حوله القش أن توفي ما حدث لهم حين سمعوا
 البحر وقد ذاب الاضطراب في صلبهم الطويل . وحين ذاب
 المضي الجرار فوق ظهورهم بأمرهم بمواصله العمل اعتدلت
 انبساط لأوت مره واستدار أصحابها بوجههم حوله واسواقين
 يعنون مصوغة لا تطرف ولا تدر ثوره لا يعلم سوى انه
 مناهها ، ثوره جسمين اثنين من يوم السبت واليسر والعرب
 أن احواله والسلمين حين انوارت بغير بدأو يعرفه لا يرضيه
 في الحب ، فكيفوا عن لاهوت والبحر اناب وبدو ينجلون
 وسوقون الرحاب فائدين ان عشيمهم معنى بما سوف يحدث
 وأنهم غلابة وأصعب عيال .

واذبح العمل قبل موعد الهبة بعدد أكثر من ساعه وعاد
 أبقار الرحلة يساهون على المشرب ويسمحون انهاء طريق
 وفي المساء حين مكان الرحلة لكنى حبت لاصطناع عدد
 كثر من اسس لم تشهد له مثالا فقد جاء الملاحون من امرة
 اكثيره ولعبت الأخرى ، وحانت معهم بعض ساجه ، جاءوا
 يعزون الترحيلة تعزية الرجل للرجل والند للند ، وكانت عزيره قد
 وضعت في المكان الذي رقدت فيه ثناء مرضها وغطيت كعبي من
 أكسس القطن التي كانت تسعمل لجر حدوده ، وسبق حوزها بساء

الرحلة ومن جاء لعزيم من ساء اعربة ، بعضهم يسكن في
 صلب . وبعضهم يمدد على عزيرة وميتها في بلاد القرية بعيدة عن
 ديارها وديارها . وبعضهم يحدث ذلك يحدث الذي
 لا يحلو لسااء الا في الماتم والجنائزات ، حديث تحكي فيه المرأة
 من مره بمره من الترحلة أو المره من الرحلة لمرأه من
 اعربة عن كسها ومنه عنها مع روحها المقبر ، وثوبها الذي
 لا يتر حبال ملح من كبره من به من حروق وثوب ، وأولادها
 الأشقياء وبنتها التي يجري عليها عريس عتده فدانان .

ثم كان الرحلة انه حسوا بعد في مدينته اجرون يقبلون
 من عربة . ثم وقد حدثت أهم ما عهد والجنائزات اعلايت
 فيه بعد ما سمع ان من الرحلة ولا صاحب الماتم من
 له . سمعوا انهم حتى قد اجل ذلك بعد اموح
 الترحلة على راسه . فاجع شرب مدروس ومضى نحو سبويه
 بالبحر المصوح من مدينته من سورته اسده . وشمس ترسها
 بعمر وحب حبه كوكبه امين .

وذهب من مدينته كان من مدينته اوف يوم حول من
 مدينته . سميت معلق في قراعه . ط . من سلال ام صبوت
 من بلكوكه ليحدثها ، ولكنها ج . من . ان كات في ذات اوف
 حبه على سميت على ان من سم من
 الترحلة تلك لها قدمها وتحكي لها عن عزيرة وزوجها وكيف
 حبيب في سلة .

من مدينته يحرقه حول من مدينته

سيكون مسئولا مسئولة تامة لو حدث شيء لا قدر الله . وحينئذ فقط أرسل الأسطى عبده طاقته الصوف الطويلة وجلبابه ، اللذين يرتديهما في العادة ، أرسلهما الى بيته طالبا من امرأته أن تبعث له بالبدلة الكاكي التي يرتديها حين يسافر . ثم مضى الى الجاراج يمد اللورى للرحلة الطويلة التي عليه أن يقبلها على سكك متعبة غير ممهدة لكي يبعد قدر طاقته عن عاكر المرور واكتشاهم .

وحين أعدت العربة وتم كل شيء كان الظلام قد خيم وكان ميعاد ذهاب أنفار الترحيلة الى الفيظ قد حان ، اذ كانت اللطم قد فقت في العربة نمرة عشرة وكان الأنفار يملون بالنهار في التقاط اللطم ، ويسرحون بالليل — لقاء أجرة ثانية — لهز اشجار القطن وجمع الدودة من على أوراقها ، الدودة التي تختبئ في النهار في شقوق الأرض ولا تبدأ زحفها الفاتك الا في الليل .

وكانت عملية الهز تتم في وسط أنوار الكلوبات الساطعة ، والعمل فيها يتجهج له الأنفار أكثر ، اذ هو عمل في الليل حيث الجو معتدل ولطيف ، وحيث الأغاني ، والنور الساطع ، والظلام الذي يتيح بعض اللعب ، يتيح لليد الخشنة أن تمتد الى الجارة ويتيح للجارة أن تتغابي وتسكت .

كان الأنفار يسعدون بالعمل في الليل رغم كل شيء ، ورغم أنهم كانوا يملون أيضا في النهار ، ولا ينامون سوى تلك الساعات القليلة التي يختلسونها ساعة الفجر وساعة الغروب ،

ولكنه عمل بأجرين والجسد المرهق ليس مشكلة ، المشكلة في القرش والفرصة التي جاءت من السماء لاقتناصه واستخلاصه .

كان ميعاد ذهاب الأنفار للفيظ قد حان ومع هذا أبوا ورفضوا أن يتحركوا قيد أنملة الا بعد أن يودعوا عزيزة الوداع الأخير .

وحانت اللحظة التي كان على عزيزة أن ترحل فيها ، وحيء باللورى وهو يجأ ويتراجع به الأسطى عبده الى الخلف ويحذر الأطفال الذين يتعلقون بجوانبه ويلعن آباءهم ليستطيع أن يصل الى أقرب نقطة من المكان الذي ترقد فيه عزيزة . ووقف الرجال واجبين متراحين حول اللورى ، وما كاد يرتفع صراخ النساء حتى هب فيهن المأمور طالبا السكوت التام مهددا بكسر عنق الواحدة منهن لو فثحت فمها ، فالعملية كان يجب أن تتم بهدوء وبلا اعلان أو فضيحة .

وعلى ضوء كلوب جيندى الباهت الذي كثيرا ما كان يشعر ويختق لوره ، لفت عزيزة بالكيس الذي كانت تتغطي به ، وتبرع الشيخ عبد الوارث بحصير بال من عنده لف فوق الكيس ، ثم حملت الجثة ملفوفة بالحصير بين نهضة النساء وصمت الرجال الواجم ووضعت على أرض صندوق اللورى الخشبية . وجمعت كل القفف والزراع والبلايص الفارغة من الترحيلة وعلى كل منهم علامة ليعرف صاحبها ، جمعت ووضعت فوق الجثة لتداريها وتخفي معالمها ، ثم صعد الرئيس عرقا الى العربة وصعد معه بعض أنفار الترحيلة من الرجال ، وتصاعدت صرخة من أم الحسن طالبة أن

تذهب معهم فالمتوقفة حزمة وكلهم رجال وليس أجدر منها بالمحافظة عليها ، ولم تطلق فيها الا حين حملت الى اللورى ووضعت فيه . وعبد المطلب الخفير أصر على أن يرافقهم ليشيع عزيزة الى مقرها الأخير قائلاً انه لا يمكن أن يترك الأسطى عبده يذهب وحده في تلك المهمة الخطرة .

وأخيراً قال فكرى أفندى المأمور لعبده بأفاس متهدجة :

— اتوكل على الله يا أسطى .

وقال الأسطى عبده وهو يجذب عصا (الفيتيس) :

— توكلنا على الله .. الفاتحة ..

وانسل اللورى وقد تعالى صوت ماكينته من بين مئات الرجال والنساء المتجهزين الذين لا يضىء وجوههم الشاحبة الا كلوب جنيدى الشاحب والذين لم يتعالك بعضهم نفسه فأنفلت صوته رغماً عنه يقول : مع السلامة يا عزيزة .. مع السلامة ..

وبعد قليل كانت العربة قد استوت على الطريق الزراعى الكبير الذى يمر بجذاء شريط الدلتا ، السائق صامت واجسم يدخن السيجارة التى عزم عليه بها الرئيس عرفة ، وعبد المطلب بجواره صامت هو الآخر وواجب . أما من فى صندوق العربة فقد كانوا جالسين متشبثين بحافة الصندوق وكأنهم يتحاشون الجلوس فوق ابر حادة ، كلما هزتهم العربة تشبثوا بالحافة أكثر محاولين قدر

الطاقة أن يتعدوا عن كومة القفف والبلايص التى ترقد تحتها المرحومة .

وبينما العربة تنز وتسايل بحمولتها ، وأزيزها المكتوم تحمله الرياح ، وتشر به على مهل كتل الظلام الهائلة الرابضة على صدر الكون ، كان خط أفتار الهر قد انتظم تحت ضوء الكلوبات المعلقة على عروق طويلة ، والمضى الخيزران قد بدأت ترتفع وتهوى على الظهور المخنية بينما أصوات الخولة والسواقين تصرخ بنبرات متقاربة متلاحقة : ولى يا ولد .. ولى يا بنت ..

خاتمة

وانتهى العام ، ورغم كل شيء كللت جهود فكرى أفندى بالنجاح ، وهزمت الدودة رغم قسوها ، وسلم المحصول ، وعاد الغرابوة الى بلادهم .

وحين جاء العام التالى على التفثيش وجاء الغرابوة كان الفلاحون لا يزالون يذكرون بعضا مما حدث لمزرعة وحكايتها ، ولكن الحاجز الذى كان قائما بينهم وبين الترجيلة كان قد زال نهائيا والى الأبد ، وأصبح من المعتاد أن يسهر رجال الترجيلة مع أهل العزبة فى بيوتهم ، وأن تختلط النساء بالنساء ، بل حدث ما هو أكثر من هذا اذ تزوج سالم أبو زيد أحد (كلافة) التفثيش بنت غرابوة رافت فى عينه فخطبها ثم ذهب الى بلدها حين عادت فى جمع من فلاحى التفثيش ليخطبها من أهلها ويحضرها عروسة .

ولم يشهد العام التالى فكرى أفندى مأمورا للتفثيش ، فالخواجه زغيب كان قد باعه حقيقة للشركة البلجيكية ، التى عينت له مأمورا كالحواجات من عندها وان كان قد عرف بعد هذا أنه تركى وسلم ولكن له شكل الحواجات وهياتهم ، ولكن الشركة والمأمور الجديد لم يدوما طويلا أيضا ، اذ ما لبت الشركة أن باعت الأرض للأحمدى باشا حين عرض عليها تمنا مناسباً بلغ ربحها فيه آلاف الجنيهات ، وقلب الباشا نظام المزارعة الذى كان

سائدا فى التفثيش الى نظام الايجار ، وأمضى الفلاحون عقود الايجار على بياض ، ووضع هو فيها ماشاء من شروط .

ولم يفاجأ الناس حين أصبحوا ذات يوم فوجدوا أحمد أفندى سلطان قد قدم استقالة من عمله وغادر التفثيش ، وقيل انه وجد وظيفة كاتب فى مكتب أحمد محامى المختلط فى طنطا ، لم يفاجأ الناس لعلمهم أن أحمد سلطان كان على الدوام ضيقا بالعمل فى التفثيش معتبرا أنه يضيع عمره وشبابه فيه برخص التراب . الناس فوجئوا حقيقة حين اختفت الست لئده ذات يوم وجن مسيحة أفندى وهو يطوف البلاد طولا وعرضا ويبحث عنها . وزالت المفاجأة واكتشف السر حين عرف أنها ذهبت لتتزوج من أحمد سلطان ، وأن الزواج تم فى مركز البوليس وأن استقالته واختفاءها وكل شيء تم باتفاق بينه وبينها . وأضاف ما حدث الى عمر مسيحة أفندى عشرات الأعوام فتشاب معظم شعره وأصبح لا يهتم بنظافة ثيابه أو وضع المناديل لتحى يافته من عرقه ، وقاطع لئده وزوجها وآلى على نفسه وأولاده وزوجته ألا يعرفوها أو يروها أو تأتى سيرتها على ألسنتهم . ولكن الأيام — آه من الأيام — ما لبت أن جعلته يفر وينسى ، ويرد على الخطابات الكثيرة التى غلت لئده ترسلها اليه كل أسبوع بخطاب مترتم مقتضب ولكنه يبدأ بثلث العبارة :

ابنتنا العزيزة لئدا .

ومضت الأعوام تشهد خلافات من نوع جديد تشب بين الفلاحين الذين أصبحوا مستأجرين وبين الأحمدى باشا ، محاكم ،

ومحضرين وحجوزات ، وحراس على البهائم والمقولات ، وبيوعات بالمزاد العلنى ، وحرائق كيدية فى سواقى التفثيش ومكنه ومخاصيله .

وقامت الثورة ، وصدر قانون الاصلاح الزراعى ، وباع الأحمدى باشا الأرض للفلاحين وباع كذلك كل معدات التفثيش من بهائم وركائب وماكينات حرث ورى ودراس ، حتى السراية والمخازن الضخمة حدها وباعها آتقاضا . وكذلك استغنى عن جميع الموظفين والخولة والأسلوات والأنفار . وغادر بعضهم التفثيش وانقلب بعضهم الى فلاحين واشتروا أرضا ، والوحيد الذى بقى موظفا هو مسيحة أفندى الذى عهدت اليه دائرة الأحمدى باشا بسك حسابات المائتى فدان التى بقيت على ذمة الباشا .

وتغيرت معالم التفثيش تماما فلا سراية ولا اصطبلات ولا ادارة ولا مأمور ولا مفتش ولا شيلة أو خفراء أو تلية ، ولكن مجتمع جديد أصبح هو الموجود ، مئات الملاك الصغار يقطنون نفس البيوت التى كانوا يقطنونها وهم أجراء وفلاحون ، مئات الصغار الذين بدأ بعضهم يكبر ويفشى ويؤجر ، وبدأ بعضهم يصغر ويحتاج ويستأجر .

مضت الأعوام ، وتعاقت التغيرات ، واقطع بطبيعة الحال مجىء الترحيلة وتسيهم الناس تماما ونسوا كل ما كان من أمرهم وأمر عزيزة ..

كل ما تبقى منهم ومنها شجرة صفصاف قائمة الى الآن على جانب الخليج الذى لم يغيره الزمن ، يقال انها نمت من العود الذى استخلصوه من بين أسنان عزيزة بعد موتها فطمس فى الطين ونبت وكان أن أصبح تلك الشجرة . وأغرب شئ أن الناس لا يزالون يعتبرونها الى الآن شجرة مبروكة ، وأوراقها لا تزال مشهورة بين نساء المنطقة كدواء أكيد مجرب لعلاج عدم الحمل .

« انتهت »

—————